السبت 21 آذار 2020
العدد 4011 السنة الرابعة عشرة
Samedi 21 Mars 2020 no 4011 14ème année

24 صفحة
1000 ليرة

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

كلمات
السينما
والأدب
والأوبئة

مخاطباً أصدقاء حزب الله: نقبل الانتقاد... لا الشتم ولا المسّ بالمقاومة
نصرالله: للجنة تحقيق في قضية فاخوري [2]

لبنان يخشى السيناريو الإيطالي

- كفاح إيران المزدوج: واشنطن شريكاً لـ«كورونا»!
- هل حقّاً «سوريا الله حاميها»؟
- تركيا في زمن الوباء: دعوة إلى الإنجاب!
- «كورونا» ونموذج العولمة الحالي: تحدّي البقاء

[4 ـ 13]

تحتجب «الأخبار» بعد غد لمناسبة ذكرى الإسراء والمعراج

(هيثم الموسوي)

قضية اليوم

مخاطباً أصدقاء حزب الله: نقبل الانتقاد... لا الشتم ولا المسّ بالمقاومة

نصرالله: للجنة تحقيق في قضية فاخوري

عرض الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصرالله موقف الحزب من قضية إطلاق سراح العميل عامر فاخوري، وفي جهود مكافحة كورونا أعلن جهوزية الحزب لمساعدة الدولة في حماية المقيمين على الأراضي اللبنانية

(هيثم الموسوي)

وضع الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصرالله في خطابه مساء أمس، الإطار العملي لمتابعة ملفّ تهريب العميل عامر الفاخوري عبر مروحية من السفارة الأميركية، بعد قرار المحكمة العسكرية الإفراج عنه، عبر الدعوة لتشكيل لجنة تحقيق قضائية ونيابية لكشف ملابسات «الحادث الخطير» كما أسماه.

ويأتي كلام نصرالله، بعد حملة هجوم على المقاومة من سياسيين وجهات ومنابر إعلامية وأفراد على وسائل التواصل الاجتماعي، بعضها من أصدقاء وحلفاء للحزب، وبعضها الأكبر من جهات معادية له أو على خصومة، في محاولة لتحميل المقاومة مسؤولية إفراج القضاء العسكري عن العميل الفاخوري.

وبداية توجّه نصرالله إلى جمهور المقاومة بشكل عام، واضعاً توصيفاً عاماً وشرحاً للوقائع التي رافقت قضية العميل منذ توقيفه في لبنان قبل ستّة أشهر. وحذّر من «وجود شائعات وتحليلات واستنتاجات ما يؤدي الى التضليل وتشويه الصورة لدى الرأي العام، وخاصة لدى جمهور المقاومة»، مطالباً هذا الجمهور بـ«مواجهة المعركة وفهم وعي الرأي العام والثقة والإيمان بالمقاومة في مواجهة الإسرائيلي والدفاع عن البلد ومحاربة الإرهابيين».

نصرالله وبشكل قاطع نفى علم الحزب بصفقة وبوجود صفقة من أساسه، مؤكّداً: «نحن لسنا طرفاً في صفقة أو نغض الطرف عنها أو نسكت عنها. لا وجود لصفقة».

وتابع أنه «منذ مجيء العميل الفاخوري الى لبنان بدأت الضغوط الأميركية على المسؤولين اللبنانيين وتهديدات مباشرة بوضع أسماء من يرفض الإفراج عنه على لائحة العقوبات، وتهديد بوقف المساعدات للجيش اللبناني، ومنع دول العالم تقديم مساعدات للبنان»، وهذه الضغوط مارسها مسؤولون أميركيون عبر الهاتف وموفدون والسفيرتان الأميركيتان، السابقة والحالية. وأشاد بالقضاء اللبناني لـ«صموده» نصف سنة أمام الضغوط الأميركية من باب التهكم، لكنّه حيّا القضاة الذين اتخذوا خطوات لمحاسبة الفاخوري والذين حاولوا لاحقاً تعطيل قرار الإفراج عنه.

نصرالله: لسنا طرفاً في صفقة او نغضّ الطرف عنها أو نسكت عنها ولا وجود لصفقة

حزب الله جهّز 20 الف عنصر من الكادر الطبي لمواجهة كورونا

وقال: «نحن أصحاب القضية ونحن لا نقبل بما حصل لأنه أمر خطير، ولأنه لاحقاً سيسمح للأميركي بممارسة الضغوط وتحقيق ما يريده»، طارحاً أمثلة حول احتمال مطالبة الأميركي بترسيم الحدود وغيره وإلا التهديد بالعقوبات.

وقال إنه عندما سئل حزب الله عن رأيه في إخلاء سبيل الفاخوري من قبل المسؤولين، كان «جوابنا أن هذه قضية أخلاقية وإنسانية وقضية مقاومة وقضية لله والآخرة، ولمصلحة القضاة وعائلاتهم، وبالتالي لا يجوز الخضوع للضغوط، ولكن رغم الوعود بعدم عقد جلسات قضائية بسبب كورونا، فإنني سمعت الخبر من وسائل الإعلام بإخلاء سبيل العميل فاخوري».

وتابع أنه «بالرغم من القرار القضائي بمنع سفره، إلا أن الضغوط الاميركية استمرت وقرر الأميركيون إرسال طائرة لنقله من مطار بيروت، لكن حصل اعتراض شديد وجهاز أمني أكد أنه سينفّذ قرار القضاء بمنعه من السفر، فكان أن تم تهريبه من السفارة الأميركية».

وقال إنه «بعد هذه الحادثة تم توزيع الاتهامات وطاولتني أنا شخصياً وحزب الله»، لذا «أقول إننا نحن رفضنا منذ اليوم الأول إسقاط التهم عن العميل، وسعينا كل جهدنا إنصافاً للمظلومين، ولم نظهر أي علامة تفهم أو رضى في هذا الموضوع، لأننا نحن أولياء الدم، ولم نعلم بانعقاد جلسة المحكمة التي أخلت سبيله، وكل ما أثير مبني على الشبهة لجهة أنه لا يمكن لحركة أمل وحزب الله ألا يكونا على اطلاع بما جرى». وقال إن إشاعة سيطرة حزب الله على الدولة بدأها العدو وأطلقها، وتناولها الخصم «لأسف أنه حتى بعض الأصدقاء مقتنعون بذلك».

وأكّد أنه «لا الدولة دولة حزب الله ولا الرؤساء تابعون للحزب ولا القضاء ولا المحكمة العسكرية ومثلها إدارات الدولة. وفي المعادلة المحلية هناك قوى لها تأثير اكبر منا».

وحول اقتراحات طرحها البعض ومزايدات عن الخطوات التي كان على حزب الله اتخاذها لمنع الفاخوري من الهرب، ومنها تكرار أحداث 7 أيار، شرح نصرالله أن «ما حصل يوم 7 أيار سببه قرار الحكومة يومها بنزع سلاح الإشارة لدى المقاومة»، متسائلاً: هل من المعقول أن نصطدم بالجيش؟ وهل هذا من مصلحة المقاومة، وهل هي مصلحة البلد أن نقوم كما دعا البعض الى إقامة كمين يمنع وصوله الى السفارة الاميركية؟ أو كتلك الدعوة لنا بالانسحاب من الحكومة؟

وقال: «لا نرى في الأفكار التي طرحت أي مصلحة للبلد، ونحن لا نشتغل بمزاج أو انفعالات، ونحن حزب سياسي ولدينا رؤية ونقاش ودراسات، وحيث هناك مصلحة للناس والمقاومة والبلد فإننا نقدم عليها بشجاعة». ورأى أنه «بدل توجيه الغضب على الأميركي الجلاد، تم توجيه الغضب على الضحية».

وتوجّه إلى المزاودين في مسألة ما يسمّى «المعابر غير الشرعية»، معلناً أن «كل من سكت عن هذا المعبر غير الشرعي في السفارة الاميركية والذي تم منه تهريب العميل فاخوري لم يعد يحق لهم التحدث عن معابر غير شرعية أخرى».

وحول الاستمرار بتحريك قضية العميل فاخوري قضائياً، اعتبر أنه «هارب من العدالة ويجب ألا يغلق هذا الملف، وفي حالة جرائمه يمكن ملاحقته قضائياً في الخارج»، مطالباً بلجنة تحقيق قضائية ونيابية للتحقيق في القضية.

وفيما أبدى عتبه على الأصدقاء، أكد قبوله النصح والانتقاد والاقتراح من الأصدقاء بالعلن، لكنّه رفض التساهل بالتشكيك بالمقاومة، والشتيمة من الأصدقاء.

وخاطب جمهور المقاومة قائلاً: «من يتعدى هذين الحدين اللذين أشرت إليهما أخرجوه من دائرة أهل البيت». وتوجّه إلى الأصدقاء بالقول: «من الآن وصاعداً نحن في حزب الله لا نقبل من حليف أو صديق أن يتهم أو يشكك أو يشتم وإلا فليخرج من صداقتنا»، مبدياً أسفه أن «يأتي يوم أضطر فيه للدفاع عن موقف المقاومة من عميل قتل وعذب أهلنا وإخوتنا»، معتبراً أن هذا «من نكد الدهر».

أمّا في الشّق الثاني المخصّص للحديث عن وباء كورونا المستجدّ، فانتقد نصرالله بشدّة تطييف الموضوع أو تسييسه، كاشفاً عن تجهيز حزب الله كادراً بشرياً من أطباء وطبيبات وممرضين وممرضات ومسعفين ومسعفات يتجاوز 20 ألف شخص للمساعدة في مواجهة تهديد كورونا.

وطالب بالتشدد «في الإجراءات والعزل في المنازل إلا لمن كان مضطراً، وأن تشكل لجان تراقب وتمارس المسؤولية من لبنانيين وفلسطينيين وسوريين لمنع انتشار المرض»، ودعا الحكومة «في حال علمت أن مناطق شيعية فيها وباء مثلاً فلتعزلها»، واصفاً من يطالب باعتماد ستة وستة مكرر بأنه «عيب».

وشدّد على أن «تطييف مسألة المرض أمر غير إنساني، وأخطر من كورونا على مستقبل هذا البلد»، وتمنى على الحكومة «اتخاذ أي قرار شجاع تراه مناسباً»، كما تطرق إلى مسألة السجناء، مطالباً بإجراءات مخارج لهذا الموضوع.

كما تطرق إلى المسألة الاجتماعية مشدداً على «التكافل الاجتماعي وعلى الاقتصاد في الإنفاق» معتبراً أنه «يجب التعاطي وكأننا نعيش وكأننا في حالة حرب». وأعلن الأمين العام لحزب الله عن وضع إمكانات الحزب بتصرف الدولة في مجال مكافحة الكورونا وأن الحزب ستعمل فرقه في مناطق تواجده وحيث تدعو الحاجة في أي منطقة لبنانية أو مخيم فلسطيني أو مخيم للنازحين السوريين. وكشف أن جميع العائدين من طهران أو من سوريا من الحزب خضعوا للفحوصات قبل وبعد المغادرة والعودة.

وذكّر العالم بقطاع غزة المحاصر والآف الأسرى الفلسطينيين في سجون العدو الإسرائيلي، واليمن الذي يتعرض للحصار والقصف، وإيران المحاصرة بالعقوبات الأميركية، و«كل هؤلاء يخضعون للعنصرية الأميركية وعدم اكتراث المجتمع الدولي».

وختم واصفاً الرئيس دونالد ترامب بأنه «غير بشري لأنه عنصري ويريد الموت للبشرية كي لا يعطيها لقاحات ومساعدات، إضافة إلى عنصريته تجاه الصين بقوله إن الفيروس صيني وبفرضه عقوبات عليها».

(الأخبار)

تقرير

الحكومة تدفن رأسها... كأنّ الفاخوري لم يُهرَّب

- «استدعى وزير الخارجية والمغتربين ناصيف حتي، قبل ظهر أمس، سفيرة الولايات المتحدة الأميركية في لبنان دوروثي شيا، واستمع منها إلى شرح حول حيثيات وظروف إخراج عامر فاخوري من السفارة الأميركية في عوكر إلى خارج لبنان».

- «لا يمكن أن تُنسى جريمة العمالة للعدو الإسرائيلي. حقوق الشهداء والأسرى المحرّرين لا تسقط في عدالة السماء بـ«مرور الزمن»». (رئيس الحكومة حسان دياب على «تويتر»)

- «سأعمل على إعداد وإقرار تعديل لقانون العقوبات بما يحول دون تطبيق مرور الزمن على أعمال العدوان على لبنان (المواد 273-274-275) وأيضاً إدخال الجرائم ضد الإنسانية ضمن أحكامه وهي بالمفهوم القانوني العام غير مشمولة بمرور الزمن». (نائبة رئيس مجلس الوزراء وزيرة الدفاع زينة عكر).

بهذا الوهن المتعمّد، وخالص الحرص على عدم إغضاب الولايات المتحدة الأميركية، وبفائض من اللطف، ردّ لبنان الرسمي على الإهانة التي وجهتها واشنطن له، أول من أمس، عبر اقتحام طائرة عسكرية أميركية للأجواء اللبنانية، وهبوطها في السفارة الأميركية في عوكر، لإخراج العميل عامر الفاخوري. تجاهل أن الفاخوري كان ممنوعاً من السفر بقرار قضائي، وتجهيل مانح الإذن للطائرة الأميركية، لم يدفعا مسؤولاً رسمياً لبنانياً واحداً لتوضيح ما جرى.

رئيس المحكمة العسكرية الدائمة العميد حسين العبدالله أعلن تنحيه، بعد اللوم الذي صُبّ عليه بسبب ترؤسه الهيئة التي أطلقت سراح الفاخوري. لكنه برّر فعلته تلك بتطبيق القانون!

عدا عن العبدالله، لم يجد أحد نفسه معنياً بأي توضيح. رئيس الحكومة أطلق موقفاً يصلح للتكرار في المناسبات العامة. وزيرة الدفاع تجاهلت أنها المسؤولة عن المحكمة العسكرية التي ارتُكب فيها جرم إسقاط تهمة عن الفاخوري لا تسقط بمرور الزمن. وتجاهلت أيضاً أن طائرة عسكرية أجنبية اعتدت على السيادة الوطنية لتهرّب شخصاً يمنعه القضاء من السفر. قيادة الجيش لم تحتسب ما جرى في عدّاد الخروقات للأجواء اللبنانية. بقية المسؤولين صمتوا أيضاً. لم يكلّف أحد منهم نفسه عناء توضيح العلاقة الملتبسة مع الولايات المتحدة الأميركية، على المستويات كافة، وخاصة المستوى العسكري منها. هل فعلاً يُسمح للطائرات الأميركية بالهبوط في لبنان من دون إذن؟ وهل هناك إذن مسبق مفتوح؟ وهل أن أحداً ما منح الإذن لطائرة تهريب الفاخوري؟ كيف ستردّ الدولة على صفعة الفاخوري؟ هل ستتم مراجعة الأذونات الممنوحة للأميركيين - بلا أي اتفاقيات - للعمل بحرّية في لبنان؟ لا أحد من المسؤولين الرسميين رأى أن من واجبه الإجابة.

(هيثم الموسوي)

شنكر: لم يتمّ عقد أيّ صفقات. لم نقدم أيّ وعود. لم نعد بالإفراج عن سجناء

الولايات المتحدة الأميركية، وجدت نفسها مضطرّة أن تشرح الخطوة التي أقدمت عليها، رغم ما فيها من مكاسب. مساعد وزير الخارجية الأميركي ديفيد شنكر أكد أنه «لم يتم عقد أي صفقات»، وأن الجانب الأميركي «لم يقدم أي وعود. لم نعد بالإفراج عن سجناء، ولم نعد بعدم تسمية أيّ من المسؤولين اللبنانيين (على لوائح العقوبات)، ولا نتحدث مطلقاً مع حزب الله».

أما لبنان، المصفوع، فليس فيه مسؤول واحد في الدولة احترم «مواطنيه» ليشرح لهم ملابسات ما جرى.

(الأخبار)

تقرير

بري يُسقط مشروع وزير المال لا «كابيتال كونترول»

غازي وزني: وزير رياض سلامة؟

> لا يلتزم وزير المال غازي وزني بكلامه مع حركة أمل وحزب الله. ما قاله لصحيفة البريطانية مُغاير تماماً للنقاشات التي تحصل ويؤكّد فيها الثنائي رفض الإجراءات التي تصب في خدمة المصارف. فمن هي الجهة التي تسعى إلى تمرير ما تريد عبر وزير المالية؟

ميسم رزق

وزير المال غازي وزني في «موقع جدلي». هو «بالاسم» محسوب على طرف سياسي، أما «بالفعل» فيُظهر أداؤه أنه «وزير مالية المصارف» في حكومة الرئيس حسان دياب. كيف لوزير زكّته جهة ما لتولّي حقيبة أساسية، ألا يتبنّى ملاحظاتها بشأن خطة اقتصادية أو مشروع مالي أو أي إجراء مُرتبط بالأزمة التي استفحلت في البلاد؟ الجواب: حاكم مصرف لبنان رياض سلامة ولوبي البنوك في الحكومة.

ليست المرّة الأولى التي يخرّج فيها وزني بتصريحات مُستغربة، تصُب في صالح القطاع المصرفي أو السياسة الدولية تجاه الأزمة المالية. في عزّ التعثر المالي - الاقتصادي - الصحي، قال كلاماً لصحيفة «فاينانشال تايمز» يُوحي كأنّ الأجواء داخل الحكومة غير ما يعلن رعاتها السياسيون، مع شعور بعض القوى السياسية بأن «المياه تسير من تحت أقدامها من دون أن تعرف».

لم تمضِ ساعات على اجتماع عُقد بين وزني وحركة أمل وحزب الله للبحث في الشأن المالي، حتى نشرت الصحيفة البريطانية نقلاً عن وزير المالية اللبناني «أننا نفكر في استخدام أموال المودعين لإنقاذ المصارف المتضرّرة من الأزمات كجزء من إصلاح شامل للقطاع، وذلك عبر تحويل جزء من الودائع إلى أسهم في البنك»! تصريح وزني لا يعكس على الإطلاق ما جرى نقاشه في الاجتماع الذي حضره المُعاون السياسي للأمين العام لحزب الله حسين الخليل، ووزير المال السابق النائب علي حسن خليل، بالإضافة إلى الوزيرين عماد حب الله وعبّاس مرتضى. ورئيس المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق عبد الحليم فضل الله، وهو ما دفع بوزني إلى إصدار موقف ينفي فيه كلامه للصحيفة مؤكداً أن «سياسته تقتضي بالحفاظ على أموال المودعين باعتبارها حقاً مقدّساً لأصحابها».

ما ورد في نفي وزير المالية يُذكّر بكلام لرئيس مجلس النواب نبيه بري شدّد فيه على أن «قدس الأقداس حماية ودائع المواطنين»، وهو ما يعزّز صحة المعلومات عن «رسالة وصلت إلى وزني من عين التينة تطالبه بالتوضيح» وفق ما علمت «الأخبار».

مصادر الاجتماع الذي عُقد مساء الأربعاء الماضي أكدت أن كلام وزني «مرفوض مئة في المئة»، خاصة وأن النقاش الذي حصل كان واضحاً لجهة كل ما يتعلّق بالكابيتال كونترول والهيركات، وهو مُغاير تماماً لما قاله وزني. فالمشروع المطروح للقيود على الدوائع («كابيتال كونترول»)

رسالة وصلت إلى وزني من عين التينة تطالبه بالتوضيح

كما هو مُقدّم من قبل وزني، وُضعت عليه ملاحظات كثيرة من قبل حزب الله وحركة أمل. وأشارت إلى أن «مشروع القانون ليس من صياغة وزني، بل هناك تدخلات كثيرة من حاكم مصرف لبنان ورئيس الحكومة ووزير الاقتصاد واللوبي المؤيد للمصارف في مجلس الوزراء». كل ما يتعلّق بالكابيتال كونترول والمشكلة في وزني أنه «لا يدافع عن فكرته أو عن الملاحظات التي يسجلها الثنائي، بل تطغى على وجهة نظره ملاحظات الآخرين في الحكومة وخارجها ممن يُريدون إجراءات لا تخرش مصلحة القطاع المصرفي». وفيما أكدت المصادر رفضها لقصّ الودائع بالطريقة التي تحدث عنها وزني «لأننا لن نقبل العمل لخدمة المصارف»، أشارت مصادر عين التينة إلى أن «كل ما يُشاع حول ضرورة قوننة الكابيتال كونترول حالياً يهدف إلى إلحاق الضرر بالمودعين، ولا سيما الودائع بالدولار»، عدا عن أن «المادة 174 من قانون النقد والتسليف تخوّل حاكم مصرف لبنان إلزام المصارف بتنظيم المُعاملات مع المودعين». وأشارت المصادر إلى أن «الكلام الذي ورد عن أن الرئيس بري هو بصدد الدعوة لجلسة لإقرار مثل هذا القانون هو عار عن الصحة، بل يُستفاد من موقفه أنه ضدّ ما يُسمى الكابيتال كونترول».

توضيح

بالاشارة الى الخبر الوارد في جريدة الأخبار بتاريخ ٢٠٢٠/٣/٢٠ والذي جاء فيه أن معالي الوزير غازي وزني هو عضو في مجلس إدارة بنك انترکونتيننتال لبنان ش.م.ل.

ولما كان هذا الخبر عار عن الصحة جملةً وتفصيلاً ، لذلك،

يهم بنك انترکونتيننتال لبنان ش.م.ل. أن يفيدكم بأن معالي الوزير غازي وزني ليس عضو في مجلس إدارة بنك انترکونتيننتال لبنان ش.م.ل. ولم يكن يوماً.

بنك انترکونتيننتال لبنان ش.م.ل.

على الغلاف

عدّاد كورونا يواصل ارتفاعه: لبنان يخشى السيناريو الإيطالي

167 حالة سجّلها عدّاد كورونا أمس، مع توقعات بأن يلامس الرقم عتبة الـ180 حالة ظهر اليوم. مع احتساب الحالات الجديدة في تقرير وزارة الصحة العامة. الرسم البياني لتطور الأعداد المصابة، يشير الى ان المرحلة المقبلة من المواجهة الاسوأ آتية. وما يعزّز هذه الفرضية بدء وزارة الصحة العامة التحضير للدخول في مرحلة الانتشار السريع، وهي المرحلة الرابعة والأخيرة. المطلوب اليوم، بحسب المعنيين، هو أخذ توصية الحجر المنزلي على محمل الجدّ وإلا فالسيناريو الإيطالي!

رأجانا حمية

«نحن الآن نتهيأ للمرحلة الرابعة من الخطة الوطنية، بعد رصد 6 حالات إصابة غير معلومة المصدر (...) والتزام المجتمع هو ما يحدّد اليوم إلى أين نتجه في تطور الأمور». بهذا التصريح، الذي أطلقه عقب لقائه مع لجنة الصحة النيابية، أعلن وزير الصحة العامة، حمد حسن، قرب الوصول إلى مرحلة جديدة من المواجهة مع كورونا: مرحلة الانتشار السريع. دقّ حسن ناقوس الخطر، مع تعدّد فكّ «شيفرة» بعض الإصابات التي لا تزال بلا مصدر إلى الآن، والمتوقّع أن تزيد في المرحلة المقبلة، بسبب تكتّم البعض عن

> دعت بعض البلديات عبر مكبّرات الصوت لعدم تأجير عائلات سورية نازحة!

التصريح. وهو إذ يفعل ذلك، إلا أنه من ناحية أخرى، يرهن توقيت الوصول إلى «السيناريو الأسوأ» بالناس. فهؤلاء هم اليوم «خط الدفاع الأول والأخير»، بحسب حسن. فإما الالتزام بـ«التعبئة العامة»، وإطالة «أمد المرحلة الثالثة الحالية» أو تركها «ربّانية» والهرولة نحو المرحلة الرابعة التي ستكشف بلا شكّ عري النظام الصحي وعجزه عن استيعاب صدمة الانتشار، وخصوصاً في ظلّ البطء في تجهيز المستشفيات الحكومية والنقص في المعدات الطبية.

لم تكن الوقائع تحتاج إلى تصريح حسن، فما يجري اليوم على الأرض ينذر بأننا سنصل إلى المكان الذي سيصبح فيه «الأمر متروكاً للسماء». ففي الأرقام، يواصل عدّاد كورونا الصعود مع تسجيل 10 إصابات جديدة ليصل العدد إلى حدود 167 إصابة مثبتة مخبرياً. مع توقعات مصادر مستشفى بيروت الحكومي أن يلامس الرقم عتبة الـ180 حالة اليوم مع صدور تقرير وزارة الصحة.

وما يعزّز هذا الخوف ثلاثة عناصر رئيسية: أولها استهتار ناس كثر بضرورة العزل المنزلي وثانيها التكتم الذي تمارسه بعض الجهات والمستشفيات على بعض الحالات المصابة ومصادرها، وثالثها «النزوح الداخلي» من المناطق التي تسجل أعداد إصابات بوتيرة يومية إلى مناطق أخرى أقلّ انتشاراً.

مع ذلك، هي ليست مسؤولية الناس وحدهم. هي مسؤولية الوزارة أيضاً والجهات المعنية في تسريع الإجراءات كي تواكب سرعة انتشار الفيروس، وتتخذ القرار بفرض إجراءات قاسية بصرف النظر عن طرق التفسير، التي اتخذت أخيراً منحى طائفياً، ولا سيما في ما يخص قرار عزل المناطق التي تشهد تسجيل إصابات بوتيرة متسارعة ومحلية المصدر. وفي هذا الإطار، تفيد مصادر في وزارة الصحة أن «اقتراح العزل لا يزال خياراً قائماً اليوم إذا ما استمر الوضع على ما هو عليه». وهو تالياً اقتراح «تفرضه المعطيات العلمية، ولا علاقة لها بالحجر على مناطق معينة من دون أخرى».

صحيح أن الوزير لا يزال يعيد تأكيد أن الأمور لا تزال تحت السيطرة، إلا أن لسان حال المتابعين للملف داخل الوزارة نفسها يشير إلى «أننا دخلنا المرحلة الأخيرة». وينطلق تبرير هؤلاء من فحوى اجتماع لجنة الصحة النيابية، أمس، والذي طرح الخيارات المفترضة للمواجهة، من تجهيز المستشفيات الحكومية وإعلام المستشفيات الخاصة بضرورة التجهيز. وقد أشار رئيس لجنة الصحة النيابية، عاصم عراجي إلى أنه

(هيثم الموسوي)

يجري تجهيز 12 مستشفى حكومياً في غرفة العمليات الوطنية لإدارة الكوارث في المناطق، على أن تصبح جاهزة في غضون أيام. كما درست اللجنة خيار زيادة الأعداد في حال الانتشار، لتشمل المستشفيات الحكومية المتبقية بحيث يصبح العدد بحدود 29 مستشفى حكومياً، إضافة إلى 10 مستشفيات خاصة كمرحلة أولى، «مع احتمال فرض الأمر على مستشفيات أخرى إذا دعت الحاجة»، بحسب عراجي. وفي إطار خطة الطوارئ الشاملة، احتسبت غرفة العمليات الوطنية لإدارة الكوارث عدد الأسرّة المفترض تجهيزها (وهي 1879 سريراً و336 عناية فائقة و213 سرير طوارئ في المستشفيات الحكومية، و9523 سريراً و 1972 عناية فائقة و878 طوارئ في المستشفيات الخاصة).

أما بالنسبة إلى أجهزة التنفس، فأشار حسن إلى أنه يوجد اليوم «1185 جهازاً (165 في الحكومي و1020 في الخاص)»، فيما تنتظر الوزارة اليوم إضافة 110 أجهزة «عبر مجلس الإنماء والإعمار». أي ما يساوي 1300 جهاز، مستخدم منها اليوم ما لا يقل «عن 600 جهاز». أما ما بقي فهو بحدود 700 جهاز، «فهي مخصصة لمرضى الكورونا»، وخصوصاً أن التقديرات تشير إلى أن أجهزة التنفس في غرف العناية الفائقة التي سنحتاج إليها، «هي بحدود 35%، أي ما بين 500 إلى 600 جهاز».

هي أرقام «مطمئنة» بحسب حسن، لكن إلى الآن. أما في حال التفشي «فنحن نحتاج إلى تأمين المزيد من الأجهزة»، بحسب عراجي. وفي هذا الصدد، طمأن الوزير إلى أن إيجاد مصادر جديدة لن يكون صعباً «وقد توجهنا بطلبيات إلى أكثر من دولة للحصول على أجهزة بهبات أو بشراء»، وخصوصاً أن مصادر التمويل بدأت تتوفّر. وهي إضافة إلى قرض البنك الدولي البالغ 40 مليون دولار لتجهيز المستشفيات، «أمّنت وزارة الدفاع مبلغ 20 مليون دولار لشراء المعدات في إطار مكافحة كورونا و10 ملايين أخرى من الهيئة العليا للإغاثة لأمور لوجستية للمستشفيات». وفي سياق متصل، وفي إطار المواجهة والتخفيف عن مستشفى بيروت الحكومي، أصدرت وزارة الصحة، أمس، تعميماً يسمح للأشخاص الذين تعافوا سريرياً أو من لم تظهر عليهم عوارض مرضية عند التشخيص أو ذوي العوارض الخفيفة أن يكون خيار «العزل المنزلي» متاحاً لهم. وفي هذا الإطار، جرى إخراج 3 مصابين من المستشفى، أمس، إلى الحجر المنزلي، ليستقر العدد على 16 حالة، كما سُجّلت حالتا شفاء من الفيروس، ما يرفع الحالات التي شفيت تماماً إلى 5 حالات.

بلديات ضدّ الكورونا!

لم تكد بعض البلديات تتنفّس الصعداء بعد «تحصيل» التزام شبه تام من قبل الأهالي بالحجر المنزلي، عادت الأخيرة للاستنفار، بعد انتشار شائعات عن توجه عدد كبير من النازحين السوريين إلى عدد من البلدات، هاربين من مناطق الشمال التي تشهد انتشاراً للكورونا. وقد تصدّت البلديات في عدد من المناطق للنازحين المحتمل للنازحين، وأصدرت بيانات حذّرت فيه من تأجير منازل لوافدين جدد، داعية إلى التبليغ عنهم للتأكد من حالتهم الصحية. ولئن كانت تلك البيانات تستهدف حماية البلدات من «دخول» محتمل للفيروس عبر الهاربين من مناطق تشهد تسارعاً في الإصابات، إلا أن ما لم تتنبه إليه البلديات في حربها ضد الكورونا هو أنها كانت «تستهدف» العائلات السورية، من دون الأخرى اللبنانية التي تدخل القرى... بلا «تصريح» مرور كما يجري مع السوريين اليوم. فمعادلة البلديات لحماية بلداتها باتت اليوم عنوانها السوري، حيث دعت بعض البلديات عبر مكبّرات الصوت لعدم تأجير عائلات سورية نازحة أو منع تجول السوريين أو إغلاق مداخل مخيماتهم في البلدات التي لجؤوا إليها وإبقائهم داخلها!

كورونا ينوّم التشكيلات القضائية... والتوقيع الملزم

ترقد التشكيلات القضائية في الوقت الحاضر على الرف. بعدما قلب انتشار وباء كورونا الأحوال راساً على عقب. لم يعد ثمة محل للاستحقاقات السياسية والاقتصادية ولا النزاعات المحلية يجعلها تتقدم على سبك وقف تفشيه

نقولا ناصيف

لم يكتفِ الاهتمام بوباء كورونا بتأجيل الخوض في أحد أبرز ملفات حكومة الرئيس حسان دياب لتلميع صورتها، هي التشكيلات القضائية. بل فتح إعلانها التعبئة العامة في البلاد، والحجر الصحي على المرافق كلها وشلّها تماماً، وعلى اللبنانيين في بيوتهم، باباً على مشكلات إضافية غير محسوبة تأثرت للفور بالتعبئة العامة.

أبرز الأولويات الجديدة التي تعكف عليها وزيرة العدل ماري كلود نجم مع مجلس القضاء الأعلى ونقابة المحامين، إيجاد حلول لمشكلات مستجدّة، منها تعليق جلسات المحاكم ومصير الموقوفين وتسهيل تنفيذ طلبات تخلية السبيل. ناهيك بأوضاع أفراد أعدّت عليهم النيابات العامة ولم يمثلوا بعد أمام قضاة التحقيق، وتالياً سريان المهل القانونية لوجودهم لدى الضابطة العدلية، في انتظار اتخاذ قضاة التحقيق قرارات تخليتهم أو إصدار مذكرات توقيف في حقهم. بيد أن ذلك يوجب مثول هؤلاء أمامهم واستجوابهم. ذلك ما يحمل وزيرة العدل على تأكيد الحاجة الى «خريطة طريق» لمعالجة المشكلات هذه مع المرجعيات القضائية والقانونية المعنية، وإيجاد الآلية المناسبة لها.

تبعاً لذلك كتبت نجم الى المدعي العام التمييزي القاضي غسان عويدات، أمس، تقترح تدابير وإجراءات لتخفيف الاكتظاظ في أماكن التوقيف، والحد من انتشار فيروس كورونا، "مع تأمين حسن سير العدالة في القضاء الجزائي".

من أبرز ما اقترحته:

- حصر الاحتجاز بحالات الضرورة القصوى وفقاً لسلّم تصنيف الجرائم بين أساسية تمسّ النظام العام توجب الاحتجاز، وأخرى لا ترقى الى هذه المرتبة ولا تستتبع تشدّداً في التوقيف.

- التأكيد على الضمانات الممنوحة للمحتجزين.

- استبدال حالات المثول أو الإحضار بالتواصل الالكتروني السمعي - البصري ما أمكن، عبر قسم المعلوماتية التابع لوزارة العدل بتجهيز أمكنة يتناوب قضاة التحقيق على إجراء جلساتهم فيها في هذه الفترة الاستثنائية.

غير أن حجب الاهتمام بالتشكيلات القضائية موقتاً، لم يعطّل تماماً الصعوبات الناشئة في طريقها. أعاد مجلس القضاء الأعلى في 16 آذار إصراره عليها وفق الصيغة التي كان قد اقترحها في 5 آذار، وقرر في اجتماعه الأخير مطلع هذا الأسبوع التمسك بها رغم تحفظات الوزيرة، وصوّت عليها بغالبية سبعة من أعضائه العشرة. يُرجع هذا الإصرار المشكلة الى أصلها الذي لم يبدأ مع الوزيرة فحسب، بل أيضاً مع رئيس الجمهورية ميشال عون الذي يرفض توقيع مرسوم التشكيلات القضائية ما لم يصر الى "تصحيحها"، موقفٌ لا يشاركه إياه مجلس القضاء الأعلى، بينما لا تبدو وزيرة العدل بعيدة من وجهة نظر الرئيس استناداً الى تشكيلات وجدت فيها "شوائب" تناقض بعض المعايير التي توافقت ومجلس القضاء على وضعها، قبل خوضه في التحضير للتشكيلات.

استمرار الخلاف على التشكيلات المقترحة يضع في طريق الأفرقاء المعنيين أكثر من ملاحظة:

1 - إن الفقرة (أ) في المادة الخامسة من المرسوم الاشتراعي 150 الصادر في 16 أيلول 1983، تشير الى أن إصرار مجلس القضاء الأعلى بالنصاب الموصوف على التشكيلات وفق الصيغة التي يقترحها، يجعل قراره "نهائياً وملزماً". مفاد ذلك أن للمجلس "صلاحية مقيّدة" للسلطات تلزمها الموافقة على قراره. بيد أن المرسوم الاشتراعي نفسه، في المادة ذاتها، يؤكد صدور التشكيلات بمرسوم بناءً على اقتراح وزير العدل. عنى ذلك موافقة

> كورونا يبلبل عمل المحاكم والتحقيقات والتوقيفات

الوزير المختص وتوقيعه على المرسوم. الأمر الذي يؤول حتماً الى تعليق صدور التشكيلات، ما لم تقترن بتوقيع الوزير ومن بعد رئيس الجمهورية الذي لا يقل تحفظاً عن بعض ما ورد في التشكيلات. لم يتردد في القول بأنه لن يوقعها على نحو ما هي عليه.

للوزير بذلك كما للرئيس قبله - وكلاهما ليسا صندوقي بريد - حق الاعتراض على التشكيلات، مقدار ما لمجلس القضاء الأعلى حق الإصرار عليها.

2 - البعض المتعاطف مع وجهة نظر مجلس القضاء الأعلى، يعتقد بأن توقيع الرئيس والوزير شكليان ما دامت "الصلاحية المقيّدة" أعطيت الى مجلس القضاء، وتوخّت إظهار قدر معين من استقلالية السلطة القضائية عن سواها من السلطات الموازية. بإزاء هذا الرأي، ثمة آخر مناقض، يتحدث عن صلاحية دستورية ليست أقل أهمية تمنع صدور مرسوم عادي لم يوقعه رئيس الدولة. لا يصح إذّاك إهمال هذه الصلاحية أو تجاوزها. وهي ذات قواعد مختلفة عما تورده المادة 56 في الدستور بتقييدها الرئيس بمهل ملزمة لتوقيع المراسيم والقرارات الصادرة عن مجلس الوزراء. إذا لم يحترم المهل هذه تصدر المراسيم بلا إمضائه. ليست الحال نفسها مع المراسيم العادية. ما يعني أن توقيع الرئيس، كما الوزير، مقترن بالضرورة بموافقته على ما سيمهره. سبق لعون أن امتنع عن توقيع مراسيم تشكيلات ومناقلات عسكرية، الى أن صار الى الأخذ بوجهة نظره.

3 - ثمة وجهة نظر تقول باجتهاد إداري مستقر يقضي بقبول القاضي، بداعي "المصلحة العامة"، بعدم إصدار السلطات الإدارية قرارات من شأنها الإضرار بالمصلحة العامة تلك. عدم الإصدار هذا يقتضي أن يقترن بمراقبة القضاء - الرقيب على كل الأعمال الإدارية - بغية التحقق من عدم تجاوز حدّ السلطة ومن وجوب "المصلحة العامة». مخرج كهذا يتيح تجميد التشكيلات في الوقت الحاضر تفادياً لاشتباك الصلاحيات بين المجلس والوزيرة، ويفسح في المجال أمام تعاونهما على تصويب ما يقتضي بعيداً من التشبّث بوجهات نظر متعارضة. بيد أنه ينطوي على سلبية بالغة، مفادها أنه يتيح إبقاء القديم على قدمه، بكل ما يعنيه من محاصصة وتقاسم وتوزّع مناصب القضاء. على الأصح ذلك ما تتوخاه القوى السياسية غير المتحمسة لتشكيلات مجلس القضاء الأعلى.

الصحة: لجنة تُعنى بالمرأة الحامل في مواجهة كوفيد ـ 19

رحيل دندش

صدر، أمس، القرار الرسمي عن وزارة الصحة العامة، والذي قضى بتشكيل لجنة تقنية تُعنى بالمرأة الحامل في مواجهة الكورونا. لم يأت هذا القرار من العبث. فمنذ اللحظة الأولى، كان ثمة هاجس يتعلّق بصحّة المرأة الحامل التي تستوجب رعاية خاصة في مواجهة الفيروس المستجد. فبحسب بعض الدراسات الصادرة عن الهيئات الدولية، تعدّ النساء الحوامل من الفئات الأكثر عرضة للكوفيد - 19، نظراً إلى التغيرات الفيزيولوجية والمناعية التي تطرأ عليهن في فترة الحمل.

من هنا، كانت اللجنة التي استحدثتها «الصحة» والتي تضمّ ممثلات وممثلين عن دور التوليد والأمراض النسائية في الجامعات والمستشفيات والهيئات العلمية، برئاسة الاختصاصي في الجراحة النسائية والتوليد والصحة الجنسية، الدكتور فيصل القاق. ووفق مصادر في اللجنة، تشير التقديرات الرسمية إلى أن عدد الحوامل في لبنان يبلغ سنوياً حوالى 120 ألفاً ما بين المقيمات (لبنانيات وغير لبنانيات)، وهي فئة «لا يستهان بها بطبيعة الحال».

ولئن كان حتى الآن لم تسجّل أي إصابة بين الحوامل في لبنان، إلا أنه عالمياً، هناك «تقارير تفيد عن إصابات الحوامل بفيروس الكورونا المستجد، وإن لم تسجّل وفيات». مع ذلك، تلفت المصادر إلى أن «الحمل حتى الآن لا يشكل عاملاً إضافياً لزيادة مخاطر الإصابة بكورونا المستجد، وهذا بالتالي لا يستوجب مهامّ إضافية على الحامل لاتباعها أكثر من الأشخاص الآخرين للتوقّي من عدوى كورونا». وعلى هذا الأساس، تخضع الحامل للإجراءات الوقائية العامة المتعلقة بالعدوى أو الشك فيها، إن كان في العزل المنزلي

> إصابة الحامل بالعدوى لا تسبّب تشوّهات للجنين

أو داخل المستشفى، في حال تبيّنت لديها عوارض الإصابة بالعدوى. وبحسب الدراسات المحدودة والحديثة حتى الآن، فإن إصابة الحامل بالعدوى «لا تسبب تشوّهات لدى الجنين، وعليه ليس من داعٍ للإجهاض، علماً أن الفصل الثالث من الحمل هو الأكثر دقة بين فصول الحمل الثلاثة، حيث تزيد إمكانية الولادة المبكرة في هذه الفترة في حال تعرّضت الأم للعدوى». أكثر من ذلك، «لم يتبين إلى الآن وجود أي تأثير للحامل المصابة بكورونا المستجد على الجنين إذ ليس هناك من انتقال عامودي من الأم إلى الجنين أو خلال الولادة».

حتى بعد الولادة، «لا خطر من انتقال الفيروس أيضاً إلى حليب الأم ولا خطر من نقل العدوى عن طريق الرضاعة الطبيعية». مع ذلك، الخطر لا ينتفي كلياً، إذ أنه على الأم التي تحمل العدوى أن «تحمي طفلها من نقل العدوى إليه عن طريق رذاذ العطس وغيره».

من جهة أخرى، تعمل اللجنة، وفق المصادر، على وضع بروتوكولات طبية وسريرية ووقائية، بالتنسيق مع الجمعيات العلمية الدولية والوطنية ووزارة الصحة العامة، حول الإجراءات الوقائية التي يتوجب على الحامل اتخاذها، في حال الشك أو الإصابة، لحماية المولود. يضاف ذلك إلى مهمتها الرئيسة التي تتمثل برصد ومتابعة إصابات الحوامل عن طريق وضع تقارير دورية، إضافة إلى إعداد موارد ومواد تثقيفية وتدريبية للأطباء والقابلات القانونيات والعاملات والعاملين الصحيين في ما يتعلق بصحة الأم إلى جانب إنتاج مواد إرشادية للحامل، وإقامة دورات تدريبية لمواكبة جهود وزارة الصحة بالتعاون مع صندوق الأمم المتحدة للسكان ومنظمة الصحة العالمية.

على الغلاف

أيّهما أهمّ خدمة الدين أم مواجهة الأزمة الاجتماعية؟

أنقذوا الموظّفين!

اجتمعت الأزمة المالية مع انتشار كورونا ليصيبا الاقتصاد اللبناني في مقتل. حتى اليوم لم يتضح حجم الكارثة، لكن كل المؤشرات تهدد بالوصول إلى أزمة اجتماعية خطيرة من جراء صرف الموظفين وإفلاس الشركات. مع ذلك، فإن كل ما يُطرح من حلول لا يرقى إلى مستوى المصيبة. المطلوب إجراءات جذرية تضع حداً للاستنزاف المستمرّ

إيلي الفرزلي

(مروان طحطح)

كل المؤشرات تؤكد أن الحياة لن تعود إلى طبيعتها قبل أشهر. المتفائلون يتحدّثون عن شهر آب، فيما يدعو آخرون إلى انتظار ربيع 2021 للقضاء على كورونا. التعبئة العامة وما سبقها من قرارات لإغلاق الأماكن العامة والمطاعم والمتاجر، كلها إجراءات يفترض أن تكون قد حدّت من الكارثة في لبنان. لكن مع ذلك، فإن أرقام المصابين ترتفع باستمرار، ولذلك يرجّح أن تزداد الإجراءات تشدّداً في الأيام المقبلة.

هذا يقود عملياً إلى تحوّل الحجر المنزلي، مع تقدم الوقت، إلى أسلوب حياة. ذلك أمر ضروري لمواجهة انتشار كورونا، لكن تأثيره، في المقابل، سيكون كارثياً بالنسبة إلى كل مفاصل الاقتصاد، ولا سيما طرفيه الأساسيين، أي الشركات والأسر. كارثي، لكن لا بد منه، ولذلك لا بديل عن تدخل الدولة لإنقاذ

> **وزارة العمل تنفي سعيها لتشريع تخفيض الرواتب**
>
> **الحجر المنزلي لا يسمح بتقدير الأضرار الاقتصادية بدقّة**

الطرفين. فالشركات، ولا سيما منها الصغيرة والمتوسطة، مهدّدة بالإفلاس، والأسر مهدّدة بالبطالة والجوع. حتى الآن لا ترقى الإجراءات الحكومية إلى مستوى المصيبة. الاكتفاء بقرار توزيع «مساعدات اجتماعية وغذائية للمواطنين الذين تعطلت أعمالهم وفقدوا وسيلة رزقهم» لا يعبّر عن تقدير حجم المأساة. كل يوم يمرّ يحمل معه أخباراً عن صرف موظفين أو خفض رواتبهم. تلك الإجراءات لم تستثن حتى المصارف التي راكمت الثروات على مدى ثلاثين عاماً. بمجرد أن طاولتها الأزمة، كان صرف الموظفين إجراءها الأول، وحتى قبل تفشّي فيروس كورونا. المطلوب تقييم دقيق من الدولة لأوضاع الشركات، تمهيداً للتمييز بين التي تملك السيولة وتسعى للاستفادة من الظرف الراهن لطرد موظفيها أو تخفيض رواتبهم، وتلك التي تحتاج فعلاً إلى الدعم، بما يسمح بضبط أعداد الملتحقين بجيش العاطلين عن العمل. هنا لا يستوي القول بعجز الدولة، مصرف لبنان اعتاد على طبع العملة لتسديد خدمة الدين. وربما الأولى به اليوم أن يحوّل هذه الأموال إلى المواطنين المهدّدين بوظائفهم وبلقمة عيشهم.

الاستقرار الوظيفي كان بدأ يختلّ منذ عام 2019، فأتى كورونا ليجعل أي حديث عن التعافي القريب ضرباً من الخيال. لا تقديرات لنسب البطالة المستجدة. آخر الإحصاءات سابق على انتشار كورونا وإعلان التعبئة العامة. شركة infopro للأبحاث كانت قدّرت عدد الذين فقدوا وظائفهم حتى منتصف شباط بـ220 ألفاً.

مؤسسات عديدة أغلقت أبوابها فعلاً، وقبل انتشار فيروس كورونا، وأخرى تنتظر دورها. لكن بدلاً من أن تتولى الحكومة مسؤوليتها في هذا الصدد، كشف الزميل محمد زبيب عن اقتراح يناقش في وزارة العمل يشجع الشركات على تخفيض رواتب موظفيها، عبر قونتة هذا الإجراء، الذي تنص المادة 59 من قانون العمل على عدم جوازه حتى لو تم بموافقة الموظف. وبالرغم من نفي مصادر الوزارة قيامها بأي خطوة من هذا القبيل، مشيرة إلى أن العمل جار لحماية العمال والأجراء من تداعيات الأزمات المتلاحقة، يتم التداول باقتراح مكتوب، ينسب إلى الوزارة. يدعو إلى «ضرورة اشتراك صاحب العمل والأجير» في تحمل المسؤولية، طالما أن قرار الإقفال لا علاقة لهما به. لا ينسى الاقتراح التذكير بأن دور الوزارة هو «رعاية علاقات العمل وحماية حقوق العمال»، لكنها مع ذلك لا تتردد في اقتراح تعديل المادة 59، بحيث تصبح الاتفاقات المبرمة بين أصحاب العمل والعمال، لجهة تعديل بنود العقد المتعلقة بالدوام والأجور وملحقاتها، نافذة. وفي سبيل «حماية» العمال تتدخل لتفرض أن لا يتخطى التخفيض، في جميع الحالات 50 في المئة من قيمة الأجر، وبما لا يمس الحد الأدنى للأجور!

وإذ يحدد الاقتراح أن تكون المدة القصوى لنفاذ هذه الإجراءات ثلاثة أشهر، مع إمكانية تقصير هذه المدة، فهو ينص على التزام صاحب العمل بتسديد المبالغ المحسومة بعد انتهاء الظرف الاستثنائي، على أن لا تقل الدفعة الشهرية عن 15 في المئة من قيمة المتوجب.

تلك إجراءات إذا صحّت، فهي ستزيد الأزمة بدلاً من الحد منها. كذلك فإن المسار الانحداري الراهن، والذي يغذيه تداخل الانهيار المالي مع انتشار الوباء، سيكون تأثيره كارثياً على القوى العاملة وعلى الشركات، كما على تحصيل الضرائب وعلى القطاع العام. مع ذلك، يوضح رئيس جمعية تجار بيروت نقولا شماس أن الحجر المنزلي لا يسمح حالياً بتقدير الأضرار بدقة، متوقعاً أن تظهر الصورة القاتمة مع استحقاق الرواتب نهاية الشهر الحالي. لكن، وإذ يؤكد شماس تمسك التجار بالموظفين، فإن البيان الصادر عن الجمعية، أول من أمس، والمتضمن للإجراءات التي «ترجو من الحكومة والجهات المعنية المختصة أخذها باقصى الاعتبار»، ومنها إجراءات مصرفية ومالية وضريبية، يثير القلق. في البيان مطالبة بالسماح للمؤسسات بتعليق عقود العمل لفترة موقتة، إعادة النظر في الإجازات السنوية في إطار كل شركة ومراعاةً لنظامها التشغيلي، وإلغاء بعض أيام الإقفال الرسمية لما تبقّى من هذه السنة!

«طيران الشرق الأوسط» و«ليبان بوست»: أيام الحجر تُحسم من الإجازات السنوية!

شركات كبرى لم يكن قد طاولها تأثير الأزمة المالية، دخلت أعمالها في غيبوبة مع بدء تطبيق قرار التعبئة العامة. أبرز هذه الشركات طيران الشرق الأوسط وشركة ليبان بوست. قرار التعبئة العامة يستثنيهما من الإقفال، إلا أن توقف حركة الملاحة الجوية خفّض أعمالهما بشكل كبير. وبالنتيجة فإن طيران الشرق الأوسط خفّضت حضور الموظفين بنسبة 75 في المئة، إذ يقتصر العمل حالياً على الإدارة العامة، وتشغيل رحلات الشحن، فيما أقفلت مكاتب الشركة تماماً. ينفي رئيس مجلس إدارة الشركة محمد الحوت أن تكون قد تخلّت، أو ستتخلى، عن أي من موظفيها. يقول إن هؤلاء، شركاء بالإنجازات التي حققتها الشركة على مدى سنوات طويلة وأسفرت عن تحقيق أرباح وصلت إلى 1,2 مليار دولار. وبالتالي «لن نتخلى عنهم اليوم، مهما كانت الخسائر المحقّقة خلال هذه الأزمة».

صحيح أن الموظفين الذين لا يعملون حالياً لم يطاولهم أي تخفيض في الرواتب. إلا أن ذلك لم يمنع الإدارة من حسم أيام الحجر المنزلي من إجازاتهم السنوية. ذلك إجراء لا شك في أنه مخالف لقانون العمل، إلا أنه يبدو أن الموظفين والإدارة قد توافقا عليه، على قاعدة أن استمرارية الشركة والوظائف تشكل في هذه الأزمة الهدف الأسمى. التدبير المعتمد من طيران الشرق الأوسط تنفذه «ليبان بوست» أيضاً. أيام الحجر المنزلي تُحسم من الإجازات السنوية، وحتى إن انتهت الأيام المستحقة للموظف، ستُحسم منه أيام إجازة من السنة التي تلي. يقول رئيس مجلس إدارة الشركة خليل داود إن هذا الإجراء اتُّخذ اضطرارياً، على قاعدة أن الأولوية تبقى للحفاظ على الرواتب. ينفي داود وجود أي خطط للاستغناء عن خدمات موظفين، موضحاً أن الشركة اتخذت إجراءات وقائية لا تؤثر على الخدمة الملزمة بتقديمها بحسب العقد الموقّع مع الدولة. من بين 1050 موظفاً، خفّضت عدد العاملين فيها إلى 380 شخصاً فقط. كما أقفلت 75 مكتب بريد، مبقية على 25 مركزاً، هي المراكز الأساسية التي تشمل كل المحافظات، إضافة إلى المراكز الموجودة في المتاجر الكبرى. أما الأعمال الحالية، فتقتصر على توزيع البريد الذي وصل قبل يوم الأربعاء (يوم إقفال المطار أمام حركة الركاب)، إضافة إلى توصيل الطرود التي تأتي إلى لبنان عبر طائرات الشحن.

من بين الموظفين العاملين من يشكو من ضعف إجراءات الحماية في المراكز المفتوحة، لكن دواد يؤكد أن الشركة تقوم دورياً بتعقيم المراكز. وتأمين وسائل الوقاية للعاملين. يدرك داود أن هذه الإجراءات قد لا تكفي لإزالة الخطر تماماً عن العاملين، أسوة بكل من يقدمون الخدمات العامة، لكنه يقول إن الإجراءات المتّبعة تُراجع دورياً في الإدارة، إذ يُعقد اجتماع كل يومين لتقييم الحالة على الأرض، واتخاذ القرار بتخفيض عدد الموظفين أو استبدالهم.

أكثر من ربع مليون إصابة حول العالم
عدد وفيات قياسي في إيطاليا

تخطّت حصيلة ضحايا فيروس «كورونا» المستجد، أمس، عتبة الـ11 ألف وفاة في العالم، بينها أكثر من خمسة آلاف في أوروبا على الرغم من قرارات العزل التي تصدر في كل مكان. وقد أُحصيت حوالى 270 ألف إصابة في العالم، منذ بدء انتشار الوباء، وفق تعداد يستند إلى مصادر رسمية.

وبحسب وكالة «فرانس برس»، أحصيت 256,296 إصابة و11,015 وفاة في 163 بلداً ومنطقة، وخصوصاً في الصين (80,976 إصابة منها 3248 وفاة) التي سجّلت مهد الوباء، وفي إيطاليا (47,021 إصابة، منها 4032 وفاة) التي سجّلت أكبر عدد من الوفيات.

وفي هذا البلد الأكثر تضرراً في العالم، يتزايد عدد الوفيات بشكل كبير، يوماً بعد يوم، محقّقاً رقماً قياسياً أمس، بتسجيل وفاة 627 شخصاً، في الساعات الـ24 الأخيرة، وفق ما أعلن الدفاع المدني. وسُجّلت في منطقة لومبارديا في شمال البلاد 381 وفاة إضافية (2549 وفاة إجمالاً). أمّا في كامل البلاد، فقد تمّ إحصاء ستة آلاف إصابة جديدة، وهو عدد غير مسبوق. وقال مسؤول الدفاع المدني أنجيلو بوريلي، إنّه تمّ نصب 679 خيمة حتى اليوم، لاستعمالها كمراكز فرز أولي لتسهيل مهام الفرق الصحية التي تواجه صعوبات كبيرة مع عدد المرضى المتزايد.

من جهتها، نقلت وكالة «أغي» عن مدير مستشفى سان مارتينو للأمراض المعدية في جنوى، قوله إن «عدد المصابين حتى اليوم لا يمثل سوى قمة جبل الجليد. نحن نواجه وباءً فيروسياً لا يُظهر في أغلب الحالات أعراضاً أو يُظهر أعراضاً محدودة». وأضاف أنّ «هناك عدداً كبيراً جداً من الناس الذين يتجوّلون ويحملون الفيروس، وهناك خطر أن ينقلوه إلى الآخرين». وبعد صدور دعوات في لومبارديا، وكذلك في روما، تدرس الحكومة اللجوء إلى نشر الجيش لتطبيق الإجراءات المقيّدة للتنقل، ولا سيما بعد تسجيل 9500 مخالفة أول من أمس.

وبعد الصين (التي تعافى فيها أكثر من 71 ألفاً من المصابين) وإيطاليا، الدول الأكثر تضرراً، لجهة عدد الإصابات، هي: إسبانيا حيث توفي 1,044 شخصاً من 20,412 إصابة، وألمانيا (توفي 59 من 19,848 إصابة)، وإيران (توفي 1433 شخصاً من 19,644 إصابة)، والولايات المتحدة (229 وفاة و16,796 إصابة)، وفرنسا (450 وفاة و12,612 إصابة).

> **أمر رئيس الوزراء البريطاني بإغلاق المقاهي والحانات والمطاعم في أنحاء البلاد**

في غضون ذلك، أمر رئيس الوزراء البريطاني بوريس جونسون بإغلاق المقاهي والحانات والمطاعم في أنحاء البلاد، ابتداءً من مساء أمس ولأجل غير مسمّى، للمساعدة في الحد من تفشي فيروس «كورونا»، ويأتي ذلك على خلفية ارتفاع عدد الوفيات إلى 177 من 3,983 إصابة. وقال جونسون للصحافيين في «داونينغ ستريت»: «نبلّغ المقاهي والحانات والمطاعم بالإغلاق الليلة متى أمكنها وعدم فتح أبوابها غداً»، مضيفاً أنّ الإجراء نفسه يشمل «الملاهي الليلية والمسارح وقاعات السينما والرياضة ومراكز الترفيه».

تركيا في زمن كورونا: دعوة إلى الإنجاب!

محمد نور الدين

مثل كل الدول، فإن تركيا غارقة الآن في همّ واحد وحيد هو وباء كورونا. وعلى الرغم من أن تركيا كانت من الدول القليلة في العالم التي وصل إليها الوباء متأخراً ولم تعلن عن وقوع أول حالة إلا قبل أسبوع تقريباً، ولم تعلن حتى الآن سوى عن أربع وفيات، فإن كل شيء مسخّر الآن لمواجهة الوباء، وخصوصاً أن تركيا تقع على تقاطع مواصلات برّية وجوّية وبحرية دولية، أغلقت غالبيتها لاحقاً، ولا يمكن أن تبقى طويلاً بمنأى عن التأثر بهذا الفيروس. ومع وصول الفيروس إلى تركيا، فإن السلطات قد عملت على اتخاذ إجراءات كثيرة، من أهمّها وضع كل العائدين من العمرة في الحجر الصحّي في مدن سكن الطلبة الجامعيين في أنقرة وغيرها.

كذلك أعلن رئيس الجمهورية رجب طيب إردوغان، رزمة مساعدات اجتماعية بقيمة 100 مليار ليرة تركية (حوالى 15 مليار دولار) تحت اسم «درع الاستقرار الاقتصادي» تُخفّف عن كاهل العاطلين عن العمل والذين تعطّلت أعمالهم بسبب الدعوة لعدم الخروج من البيت. لكن الرزمة لم تحظ بقبول العمّال الذين وجدوها مقصّرة جدّاً وتحمي أصحاب العمل أكثر من العمّال. ورغم المخاطر، فإن الحكومة لم تفرض بعد حظر التجوّل الكامل، بل إن الأسواق الشعبية لا تزال قائمة وتشهد زحمة زوار رغم أن إردوغان دعا المواطنين للبقاء في منازلهم.

ورغم أنه لم يصدر بعد قرار بعفو جزئي يسمح بإطلاق سراح 100 ألف معتقل (أي ما يعادل ثلث المساجين)، ما يخفف من مخاطر انتشار كورونا في السجون، فإن النقاشات متواصلة لدرس التفاصيل والأرقام وإصدار تشريع بذلك في البرلمان.

أما النائب عن حزب «العدالة والتنمية» أحمد حمدي تشاملي، فقد دعا إلى الاستفادة من الحجر القسري في المنزل لزيادة الإنجاب. وقال إن «رئيس الجمهورية رجب طيب إردوغان كان قد دعا سابقاً إلى إنجاب ثلاثة أولاد على الأقل في الأسرة الواحدة. ومع أن كورونا شر فإنه يمكن أن يتحول إلى نعمة ووسيلة للخير».

لم تكن الشفافية التركية بالقدر الكافي، إذ أنه في وقت كان وزير الصحة فخر الدين قوجا، يعلن أن عدد الوفيات بسبب كورونا بلغ حتى الأربعاء الماضي اثنين، كان الفيروس يخطف مسؤولاً عسكرياً كبيراً نهار الإثنين، هو طاهر أياتاش بالمان، قائد القوات البرية السابق.

> **خطف الفيروس طاهر أياتاش يالمان، قائد القوات البرية السابق**

كان وزير الصحّة قال الثلاثاء إن عدد الوفيات كان اثنين، واحد في الـ 89 من العمر والثاني في الـ 61 من العمر، فيما أياتاش له من العمر 80 عاماً. وقد علّقت مغرّدة قائلة: «نحن نحب إخفاء المعلومات وإنها لصدمة ألا يكونوا قد قطعوا الإنترنت بعد». لبرد آخر :»إنهم لو قطعوا الإنترنت فلن يبقى أحد في المنازل». وما لبث وزير الصحّة أن صحّح الخميس الرقم ليعلن أنه أصبح أربع وفيات من بينهم الجنرال يالمان.

وكان يالمان بحالة صحّية جيّدة ويمارس الرياضة في قاعة النادي العسكري بمحلة قنار باهتشه في إسطنبول عندما شعر فجأة بضيق في التنفس فنقل بسرعة إلى مستشفى خاص، حيث أجري الكشف عليه فقالوا إنهم لا يستطيعون فعل شي فنقل إلى المستشفى العسكري في إسطنبول وتم التثبّت من أنه مصاب بفيروس. وإذ تحسّن بعض الشيء، طلب أن يعود إلى البيت لكن بعد ساعات قليلة توفي وثبت في تقرير لجنة الأطباء أنه كان مصاباً بكورونا. وفي اليوم التالي نقل جثمانه على وجه السرعة من المستشفى إلى المقبرة

(الأناضول)

حيث ووري في الثرى من دون أي مراسم عسكرية، رغم أن قيادة القوات البرية قد نعته في اليوم نفسه لوفاته. فيما نقلت زوجته وشقيقته إلى المستشفى لإصابتهما بكورونا أيضاً. كما بدأت إجراءات عزل النادي الذي كان يمارس الرياضة فيه.

كان أياتاش يالمان واحداً من الضباط الذين لعبوا أدواراً مهمّة في مرحلة التوتر مع سوريا عام 1998 والتوصّل إلى اتفاق أضنه وفي مرحلة ما بعد التوقيع.

ولد يالمان في عام 1940 ودخل المدرسة الحربية في عام 1960 وتولى بين عامي 1995 و1998 قيادة اللواء السادس المتمركز في أضنه. وكان له دور مؤثر في قرارات 28 شباط 1997 التي اتخذها مجلس الأمن القومي ضد حكومة نجم الدين أربكان وفي الحملة ضد الإسلاميين، وربما من هذه الزاوية لم يرثه أو يشر إليه أحد من المسؤولين الحكوميين الحاليين. وفي عام 1998، أصبح قائداً للجيش الثاني وبعد توقيع اتفاقية أضنه في 20 تشرين الأول 1998 تولى يالمان مسؤولية إدارة العلاقات الأمنية التركية مع سوريا وفي 24 آب من عام 2000 عيّن قائداً عاماً للدرك، وفي 24 آب من عام 2002 أصبح قائداً للقوات البرية وتقاعد في 29 آب 2004.

فيما الجميع مشغول بكورونا، وهذا طبيعي، كانت إدلب تشهد تطوراً نوعياً هو مقتل ثلاثة جنود أتراك (الثالث يقال إنه توفي بسكتة قلبية) على يد مسلحين متطرفين في إدلب لم توضح وزارة الدفاع هويتهم التنظيمية. وواضح أن الحادثة التي جاءت في غير وقتها بالنسبة إلى تركيا لا يراد لها أن تتفاقم في ظل الأوضاع الراهنة بالنسبة إلى كورونا. وعلى الرغم من هذا الصدام بين الجيش التركي وهؤلاء المسلحين، فلا تبدو الأمور في المدى القريب إلى تفاقم على الجبهة. كما ليس واضحاً ما إذا كانت طريق «M4» ستُفتح وما إذا كانت الدوريات التركية - الروسية ستُستأنف.

على الغلاف

صرامة في الإجراءات ولا إصابات

هل حقّاً «سوريا الله حاميها»؟

لا إصابات في سوريا حتى اللحظة، مهما تكاثرت الشائعات. الكلام ليس نقلاً عن مسؤولين تنقصهم الشفافية إجمالاً، بل يؤكّده ممثّلو «منظّمة الصحّة العالمية». الإجراءات الحكومية هي الأكثر صرامة منذ سنوات، في محاولة للوقاية من وباء «كورونا» الذي ضرب كل دول الجوار

دمشق ـ **مرح ماشي**

ليس الحصار الاقتصادي على سوريا وحده ما حوّل أيام سوريي الداخل إلى حبس كبير، ولا إغلاق الحدود البرّية الذي بادر إليه الجانب اللبناني لحصر انتشار فيروس «كورونا» الذي خلّف في البلد الجار إصابات ووفيات. بل هي سلسلة قرارات جديدة اتخذتها الحكومة السورية لمنع وصول الوباء العالمي إلى البلاد، جعلت من هذا الحبس محموداً، مع قلّة تذمر وشكوى رغم الأحوال المعيشية الصعبة. هكذا، يكون الحصار نقطة «إيجابية»، للمرّة الأولى، مع ما فرضه من قطيعة مع شركات الطيران وسياح كان يحتمل أن يتسبّبوا في تدفّق الفيروس إلى البلاد التي تعاني ما تعانيه صحياً وطبياً.

الإجراءات بدأت بتعليق الدوام في المدارس والجامعات والكثير من المؤسسات الرسمية، بينها النافذة الواحدة لخدمة المواطن، وصولاً إلى قرارات متعلّقة بمنع التراجيل في المطاعم والمقاهي، لينتهي الأمر لاحقاً بإغلاق المطاعم والمقاهي نفسها، إضافة إلى تأجيل الأنشطة التي تتضمّن تجمّعات بشرية، ومن بينها انتخابات مجلس الشعب. كل هذه الإجراءات توالت خلال أسبوع واحد، بالتزامن مع حصر العمل في المؤسّسات الحكومية والمراكز التجارية والصيدليات وبعض الدوائر الحكومية التي جرى تنسيق دوامات موظفيها بما يحول دون الاكتظاظ في الأماكن المغلقة، مع السماح بفتح التعاونيات حتى منتصف الليل لتفادي الازدحام، وتوزيع معتمدين للأفران في مختلف الأحياء.

السلع ومواد التموين متوافرة بكميّات كبيرة، قدّرها بعض الرسميين بما يكفي حاجة السوريين لأشهر، علماً بأن السوريين «غزوا» المراكز التجارية والصيدليات مع صدور القرارات الحكومية الأولى، ما أدى الى نفاد بعض المنظّفات والعقاقير والكمامات. وتعتمد سوريا على السوق الصينية في بعض المستلزمات الطبّية، كالقطن الطبّي والمعقّمات والكمامات التي تضاعف سعرها 600 مرّة، فضلاً عن فقدان معظمها. بعض مستوردي المستلزمات الطبّية قدّروا أن 80% من المستلزمات وإكسسوارات الصيدلة بدأت تنفد من المستودعات، فضلاً عن ارتفاع سعر المتوفّر منها. وبلغ معدّل ما دفعه البعض الأسر لشراء مواد تموينية ومعقّمات أكثر من 100 ألف ليرة في ظل وضع اقتصادي متردٍّ..

قادمون من الصين... ولا إصابات!

حالات مرضية عديدة تتعلّق بالتهابات رئوية جرثومية استقبلتها مستشفيات سورية، خلال الشهرين الفائتين، كانت مواد دسمة لوسائل إعلام معارضة في حربها المتواصلة على السلطة، أسئلة كثيرة تتعلّق بانتشار المرض في جميع دول الجوار من غير تسجيل أي حالة واحدة في البلاد، أثارت سخرية كثيرين حيال عدم شفافية المسؤولين السوريين. وزادت الشائعات قبل شهر، مع عودة مجموعة من السوريين من ووهان الصينية إلى البلاد.

مدير صحّة ريف دمشق ياسين نعنوس أكد لـ«الأخبار» أن 40 من الطلاب السوريين وعائلاتهم نُقلوا لدى عودتهم إلى مركز إقامة مؤقتة تحت إشراف طبّي لمدة 14 يوماً. وجاءت نتائج التحاليل المخبرية سلبية، كما كان ممثّل «منظمة الصحة العالمية» واضحاً، في تصريح قبل أيام، بعدم وجود أي حالة حتى اللحظة، وسط مساعدة المنظّمة للكوادر الصحّية السورية من خلال تأمين المعدات والتحاليل اللازمة.

وفي الأيام القليلة الماضية، تزايد عدد الفحوصات في المحافظات كافة في مخابر مديريات الصحّة. ووفق تصريحات المسؤولين، فإن المشافي الحكومية مجهّزة لاستقبال المرضى، ولا سيما الذين يعانون من أمراض تنفّسية، فيما ترفض المستشفيات الخاصة استقبال أي مريض من هؤلاء. وكان معاون مدير مركز الأمراض السارية هاني اللحام لفت في حديث إلى «الأخبار» إلى تجهيز المشافي والمعابر الحدودية بما يلزم، إضافة إلى استخدام كل مشفى وطني في جميع المحافظات لاستقبال الحالات المرضية المشبوهة، فضلاً عن استقبال حالات الإنفلونزا الموسمية ومراقبتها وإجراء الاختبارات اللازمة لكشف وضعها. وأشار إلى وجود مراكز عديدة للحجر الصحي، أبرزها في الدوير وقطنة وبعض المشافي في العاصمة وريفها.

> **ازدادت الشائعات قبل شهر مع نقل مجموعة من السوريين من ووهان**

«حرب» كورونا والاقتصاد!

مع تواصل إجراءات الحكومة للحدّ من الازدحام، جرى فتح أبواب مراكز الصالات للتجارة حتى منتصف الليل، إضافة إلى توزيع معتمدين للأفران في مختلف الأحياء. فيما استمرّت عملية الاستيراد والتصدير مع الدول المجاورة، رغم إقفال الحدود. وعادت معامل المعقّمات إلى العمل. غير أن تبضّع الناس بكميّات تفوق حاجاتهم، خوفاً من تطوّر الإجراءات، أرخى بظلاله على الأسواق. معدّل ما دفعه المواطن لشراء مواد تموينية ومعقّمات تجاوز الـ 100 ألف ليرة سورية (نحو 100 دولار أميركي بسعر السوق)، ما زاد في ديون البعض واضطر آخرون إلى استخدام المدّخرات. وهو ما يرجّح أن ينعكس سلباً على الأسواق بعد أقلّ من شهر، وسط ما يسبّبه اكتفاء الناس من هذه الموادّ من ركود.

وفي ظل اعتماد الاقتصاد السوري على الاستيراد من الصين بنسبة 60%، فُقدت سريعاً بعض المواد، قد تتأخر عودتها إلى السوق حتى أيار المقبل، لاعتبار إتمام بعض الطلبات التي جرت المصادقة عليها في وقت سابق. وتعتمد سوريا على الصين في بعض المستلزمات الطبّية كالقطن الطبّي والمعقّمات والكتامات التي تضاعف سعرها 600 مرّة، فضلاً عن فقدان معظمها. بعض مستوردي المستلزمات الطبّية قدّروا أن 80% من المستلزمات وإكسسوارات الصيدلة بدأت تنفد من المستودعات، فضلاً عن ارتفاع سعر المتوفّر منها. وتعتمد الأسواق السورية على منتجات هندية بنسبة 15%، وأخرى كورية بنسبة 5%، مع فروقات كبيرة في الأسعار عن مثيلاتها الصينية. وبحسب بعض المستوردين، فإن البحث جارٍ عن منافذ بديلة للاستيراد. يأتي كل ذلك مع تقديرات بأن إجراءات العزل القائمة في الصين ستسبّب تراجع الاقتصاد السوري 50%.

تعمد الأجهزة الحكومية إلى تعقيم أماكن التجمع في محطات النقل العام (أ ف ب)

«كورونا» أو «سويس» الدارونية الاجتماعية

وليد شرارة

تفشي وباء «كورونا»، كغيره من الأزمات الدولية الكبرى، وكيفية مواجهته من قبل اللاعبين الدولتيين، كشفا حقيقة التغيير المستمر في موازين القوى العالمية وسرّعا من وتيرته. هذا المسار التاريخي بدأ منذ عقود مع الصعود التدريجي للدور الاقتصادي، ولاحقاً السياسي والعسكري، للقوى غير الغربية وفي طليعتها الصين، والتراجع الموازي، التدريجي هو الآخر، لهيمنة المعسكر الغربي بقيادة الولايات المتحدة. الخبراء الغربيون بالشؤون الاستراتيجية والعلاقات الدولية مضطرون للاعتراف، على مضض، بهذا الواقع المستجد نظرا للنجاحات المذهلة، والظاهرة للعيان، التي حققتها الصين في ميدان السيطرة على الوباء وعلاج المصابين به، وتقديمها المساعدات والخبرات لعدد من بلدان العالم، مقارنة بالأداء البائس لكثير من الدول الغربية. فقد رأى بيير هاسكي، المعلق المتخصص بالشؤون الجيوسياسية على اذاعة «فرانس أنتير»، مثلاً، أن ارسال الصين مليون كمامة لفرنسا هذا الأسبوع، والمساعدات التي وفرتها لايطاليا الاسبوع الفائت، خطوات رمزية تؤكد تحوّلها الى قوة عظمى حريصة على تظهير موقعها الدولي الجديد من خلال المساعدات الانسانية كما درجت القوى العظمى «السابقة» (أقرأ الغربية) على فعله. اللافت أيضاً هو تصريحات قادة الدول التي أملت لعقود أن تُقبل كجزء، من الغرب، أو على الأقل كحليفة عضوية له، عن طريقة تعامله معها في خضمّ الأزمة الحالية. فهذا الرئيس الصربي ألكسندر فوتشيش يعلن ادراك بلاده بأن «التضامن العالمي أمر غير موجود والتضامن الأوروبي غير موجود. لقد كان قصة خيالية على الورق»، قبل أن يخاطب الصين، واصفا اياها بـ«الطرف الوحيد القادر على مساعدتنا في هذا الوضع الصعب...». أما الرئيس التركي رجب طيب أردوغان، فقد اتهم الدول الغربية بالتعاطي بسلبية مع انتشار «كورونا» مما سيفضي الى «حقبة جديدة وتغييرات جذرية، سياسية واقتصادية وأجتماعية على المسرح العالمي». واذا كان من الصعب اليوم معرفة مدى هذه التغييرات وعمقها، الا ان المؤكد هو أن وباء «كورونا» وجه ضربة قاضية لصدقية النموذج النيوليبرالي، وهو الاسم التجاري لنظام الداروينية الاجتماعية الذي ساد منذ بداية تسعينات القرن الماضي، وأوغل في تدمير شروط بقاء الأغلبيات الشعبية في أنحاء المعمورة.

هل ستكون لوباء «كورونا» تداعيات على الهيمنة الأميركية مماثلة لتلك التي تلت العدوان الثلاثي على مصر بالنسبة للأمبراطوريتين البريطانية والفرنسية؟ هذه المقارنة لم ترد في نص كتب من قبل مفكرين أو ناشطين ثوريين بل في مقال على موقع «فورين أفيرز»، التابع لمجلس العلاقات الخارجية الأميركي، بعنوان «فيروس كورونا قد يعيد صياغة النظام العالمي» لكورت كامبيل، مساعد وزير الخارجية الأميركي لشؤون شرق آسيا والمحيط الهادئ (2009-2013)، وروش دوشي، مدير المبادرة الاستراتيجية حول الصين في معهد بروكنغز. يشير الكاتبان الى أن «المنظومات الدولية تتجه للتغير تدريجيا في البداية، ومن ثم يتم ذلك دفعة واحدة. سنة 1956، أماط تدخل فاشل في السويس اللثام عن تراجع كبير في قدرات بريطانيا وشكّل نهاية لدورها كقوة دولية أساسية. اليوم، على صنّاع القرار الأميركيين أن يعترفوا بأن الولايات المتحدة اذا لم تستطع ان تكون على مستوى التحدي، فان وباء كورونا سيمثل بالنسبة اليها لحظة سويس أخرى». والحقيقة هي أن انحدار الامبراطورية البريطانية بدأ قبل معركة السويس بعقود وتسارع بشكل دراماتيكي مع الحرب العالمية الثانية ونتائجها. لولا هذه الحرب، وما خلفته من دمار في دولتين استعماريتين كفرنسا وبريطانيا، كانت حروب الاستقلال في جميع بلدان الجنوب ستكون أطول وأصعب. الأمر نفسه ينطبق على الهيمنة الأميركية التي لم تبدأ بالانحسار مع أزمة «كورونا»، أو حتى مع الأزمة المالية سنة 2008، بل منذ أن تورطت ادارة بوش الابن بحروب أفغانستان والعراق وغفلت عن الصعود المذهل للقوة الصينية وعن عودة روسيا الى الساحة الدولية. غير أن الأزمة الحالية شكّلت فرصة، بنظر كامبيل ودوشي، لقيام الصين باستغلال الفراغ في قيادة المكافحة الدولية للوباء، الناجم عن الأخطاء الخطيرة التي ارتكبتها ادارة ترامب في مقاربتها لها، واحتلال هذا الموقع عملياً من خلال تقديم المساعدات والخبرات في أوروبا وأفريقيا وايران وفنزويلا. وهما يضيفان بأن «شي كان قد دفع في السنوات الأخيرة جهاز السياسة الخارجية الصينية للتفكير في كيفية اصلاح الحوكمة الشاملة ويوفر وباء كورونا الآن فرصة للانتقال من المساهمات الفكرية والنظرية الى التطبيق». يستعرض الكاتبان المساعدات الكبيرة التي التزمت الصين بتقديمها لعدد من البلدان، ويذكران بأن القدرة على ذلك مرتبطة بواقع أن أغلب ما يحتاجه العالم لمكافحة الوباء، مصنوع في الصين، وبينها الكمامات الطبية، التي ضاعفت انتاجها عشر مرات، الى المكونات الأساسية للمضادات الحيوية المستخدمة لعلاج الالتهابات الثانوية التي يسببها فيروس «كورونا». مرروا بجهاز التنفس N95 الحيوي بالنسبة لجميع العاملين في القطاع الصحي، بينما «تفتقد الولايات المتحدة، من جهتها، القدرة على تلبية العديد من احتياجاتها الداخلية في هذا الميدان». لا يتطرق الكاتبان الى أسباب وخلفيات القصور الأميركي ولا الى الصلة الوثيقة بينه وبين طغيان السياسات النيوليبرالية ونتائجها على جميع قطاعات الخدمات العامة، بما فيها تلك الطبية. فالداروينية الاجتماعية، وهي نظرية تراتبية للمجتمع، تساوي بين الأثرى و«الأرقى»، وتعتبر الفقراء، ككلّ فائضاً يمكن التخلص منه عند أول أزمة، هي المرتكز الفلسفي والفكري الفعلي للنيوليبرالية التي تفصل السياسات الاقتصادية على مقاس مصالح من هم «أرقى». تحول موازين القوى الدولية عملية صراعية وهي ستأخذ مداها الذي قد يطول. غير أن المؤكد هو أن الأزمة الحالية، التي راهن البعض على أن تكون «تشيرنوبيل» النظام الصيني وتقضي الى زعزعة استقراره على الأقل، أضحت «سويس» النيوليبرالية بنظر غالبية شعوب العالم، لأنها عرّت حقيقتها الداروينية في لحظة الأزمات واستعدادها للتضحية بقطاعات واسعة منهم كرمى لمصالح زمرة ضيقة من المترفين.

كفاح إيران المزدوج: واشنطن شريكًا لـ«كورونا»!

وسط إصرار واشنطن على سدّ كل المنافذ التي تستعين بها إيران للتنفس في حربها ضد فيروس «كورونا»، تخرج أصوات من طهران تدعو الى طرق أبواب الأمم المتحدة لاستصدار قرار يوقف العقوبات الأميركية. بغض النظر عن فاعلية قرار كهذا إن حصل، فإن ثمّة إجماعاً إيرانياً على أن الخطوة ستعرّي الولايات المتحدة سياسياً

زكريا أبو سليسلة

«على واشنطن أن تزيل، بوسائل تختارها، أي عوائق تنشأ عن التدابير المعلنة في 8 أيار/ مايو 2018 (تاريخ انسحاب الولايات المتحدة من الاتفاق النووي الإيراني) بشأن التصدير الحرّ إلى أراضي جمهورية إيران الإسلامية من الأدوية والأجهزة الطبّية، والمواد الغذائية والسلع الزراعية، وقطع الغيار والمعدات والخدمات المرتبطة بها، بما في ذلك الضمان والصيانة وخدمات الإصلاح والتفتيش اللازمة لسلامة الطيران المدني». بهذا النص، أصدرت محكمة العدل الدولية في لاهاي حكمها، في 3 تشرين الأول/ أكتوبر 2018، بشأن دعوى إيرانية ضد العقوبات الأميركية التي تجدّدت على طهران عقب انسحاب واشنطن من الاتفاق النووي.

لكن رغم الحكم، لم تكف الولايات المتحدة عن الاستمرار في فرض عقوبات تتسبب في تداعيات سلبية على القطاعات التي حثّت المحكمة الدولية على إخراجها من دائرة التأثّر بالعقوبات. وتجلّت هذه التداعيات أخيراً بالأزمة الصحّية والدوائية التي تعاني منها إيران بعد تفشي فيروس «كورونا» المستجد في أغلب مدن البلاد. إذ لم تفلح القناة المالية الإنسانية لنقل الأدوية إلى إيران، والتي أُنشئت عبر سويسرا أواخر كانون الثاني/ يناير 2020، في مساعدة طهران في أزمتها الحالية، لأن الولايات المتحدة، بحسب الناطق باسم الخارجية الإيرانية عباس موسوي، «تمنع الإيرانيين من توجيه مواردهم في مختلف الأمكنة إلى هذه القناة».

> **تراهن طهران بشكل أساسي على قدراتها الذاتية لمواجهة الجائحة العالمية**

إلى جانب ذلك، يلفت رئيس تحرير النسخة العربية في وكالة «مهر» الإيرانية محمد مظهري، إلى أن «الشركات الأجنبية العاملة في المجال الطبي لا تزال تخشى التعامل مع طهران جرّاء العقوبات الأميركية المفروضة على القطاع المصرفي الإيراني».

الإدارة الأميركية لم تكتف، في ظل الظروف الحالية، بالعقوبات المتلاحقة منذ أيار/ مايو 2018، بل فرضت أخيراً عقوبات على 9 كيانات صينية وجنوب أفريقية، بسبب تقديمها مساعدات للجمهورية الإسلامية في مكافحتها لهذا الوباء، ما اعتبرته طهران «قتلاً للأبرياء بكل ما تعنيه الكلمة». واعتبر وزير الخارجية الإيراني محمد جواد ظريف، في تغريدة على «تويتر»، أن «التفرّج على هذه الأفعال عمل غير إنساني»، مطالباً كل الدول بالالتحاق بـ«حراك تجاهل العقوبات الأميركية ضد إيران الذي يشهد نمواً عالمياً». فيما طالب عضو لجنة السياسة والأمن البرلمانية حشمت فلاحت بيشه، بـ«الاستفادة من مواقف روسيا والصين الداعمة لطهران في وجه العقوبات الأميركية، لاستصدار قرار استثنائي من مجلس الأمن بتعليق العقوبات أسوة بما حدث في عهد جورج بوش الابن عندما حدث زلزال بم».

صحيفة «أفتاب يزد» الإصلاحية رأت في افتتاحيتها أمس أن مثل هذه المحاولة «لن تستطيع في حال مرورها بمجلس الأمن، وقف العقوبات الأميركية. إلا أنها ستمثّل فقط لصورة أميركا سياسياً».

الجدير ذكره أن العقوبات الأميركية الأخيرة لم تُوقف مسار المساعدات التي تقدّمها بكين لطهران في إطار حملتها لمعاونة عدد من الدول على مواجهة الجائحة العالمية. إذ أعلنت إيران بعد فرض هذه العقوبات بيومين عن تسلّمها 50 طناً من المساعدات الصينية. كما أعلنت طوكيو أمس، عبر سفيرها لدى طهران ميتسوغو سايتو، منح إيران 23,4 مليون دولار كمساعدة مالية لمكافحة كورونا.

هذه المبادرات «المركّب بها لا يمكن المراهنة عليها لحل هذه الأزمة، لا سيما إذا ما استمرّت العقوبات الأميركية»، بحسب ما أكد مظهري لـ«الأخبار». لذلك، «يبقى الرهان على قدراتنا الداخلية في المجال الصحّي، كما راهنا سابقاً على قدراتنا في المجالين العسكري والاقتصادي». ولفت إلى «قدرات الجمهورية الإسلامية في مجال النانو والخلايا الجذعية»، ليخلص إلى أن إيران «نجحت سابقاً في الاستثمار في المجال الصحي، وما عليها الآن إلا أن تنتهج سياسة تعزيز المناعة، إلى جانب تطبيق تدابير الحجر الصحي وعزل المشبوهين بالإصابة»، مشدداً على أن «المواجهة مع كورونا ستكون بداية لمرحلة جديدة تحت عنوان المناعة في مجال الصحة والحروب البيولوجية».

من اجتماع الحكومة الايرانية اول من أمس (أ ف ب)

على الغلاف

عُلّقت مباريات الدوري الإنكليزي الممتاز لكرة القدم إثر تفشي فيروس كورونا المستجد. على ان تُستأنف جولاته في اخر ابريل/ نيسان من العام الجاري كموعد «أوّلي». تعليقٌ، هو الاول بالنسبة إلى الكرة الانكليزية منذ الحرب العالمية الثانية. اطلق العديد من الاسئلة أبرزها عن موقف ليفربول في حال إلغاء الدوري. لا يزال الوضع ضبابياً. بانتظار ما ستسفر عنه الايام المقبلة من قرارات

التوقف الأول منذ 80 عاماً

الكرة الإنكليزية تستسلم لكورونا

يعود آخر تعليق لكرة القدم في إنكلترا إلى عام 1939 (أ ف ب)

مصير ليفربول على المحكّ

أفادت شبكة «سكاي» أن ممثلي الأندية الـ20 في البريميرليغ سيعقدون اجتماعاً جديداً «لوضع الخطط اللازمة لاستحقاقات الموسم المتبقية». ونقلت «سكاي» عن مصدر في أحد أندية الدوري الممتاز قوله: «هناك احتمال بنسبة 75% لعدم استكمال هذا الموسم».

من جهتها، نقلت صحيفة «ذا تايمز» عن رئيس مجلس إدارة الاتحاد الإنكليزي لكرة القدم غريغ كلارك اعتقاده أنه «بات من الصعوبة استكمال الدوري الممتاز». وطرحت الصحيفة سيناريوهات عديدة في حال حصول ذلك، تشمل تكبّد الأندية خسائر مالية ضخمة، وصولاً إلى احتمال حرمان ليفربول من التتويج بلقب ينتظره منذ ثلاثين عاماً.

فيما قالت نائبة رئيس نادي وستهام كارين برايدي لصحيفة «ذا صن» الإنكليزية، أنها تعتقد إلى ليفربول لأنه سيُحرم من اللقب، مشددة على ضرورة إلغاء الدوري والتحضير لموسم 2020-2021. «لا يمكننا تفادي احتمال إلغاء كل مستويات الدوري الإنكليزي، وأن يعتبر هذا الموسم لاغياً لأن اللاعبين لا يمكنهم اللعب، والمباريات لا يمكن أن تُقام». غير أنها صرّحت بعدها بأيام عن جدارة ليفربول باللقب بعد أن انهالت عليها التعليقات السلبية. من جهته، وجّه مدرب ليفربول يورغن كلوب رسالة إلى مشجعي الفريق عبر الموقع الرسمي للنادي قائلاً: «لا أحد منا يعرف في هذه اللحظة ما ستكون عليه النتيجة النهائية (بشأن مستقبل الدوري الإنكليزي). لكن كفريق نحن على اقتناع بأن السلطات ستتخذ القرارات بناءً على رأي سليم وأخلاقي».

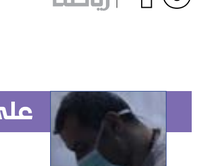

حسين فحص

يتصدر ليفربول الدوري الإنكليزي الممتاز لكرة القدم برصيد 82 نقطة من 29 مباراة، أمام الوصيف مانشستر سيتي (57 نقطة من 28 مباراة). «الريدز» أقرب من أي وقت مضى لإحراز لقبه الأول في البطولة منذ عام 1990، غير أن الضغوط التي تمارسها بعض أندية الدوري لإلغاء الموسم قد تحول دون ذلك. فبعد قرار رابطة الدوري الإنكليزي توقيف فعاليات البطولة حتى نيسان المقبل، قال المحامي الرياضي ريتشارد كريمر في تصريحات نشرتها صحيفة «ديلي ميل» الإنكليزية: «إذا تم استئناف المباريات من جديد في بداية نيسان، سيكون الأمر على ما يرام، لكن إذا أرجأنا البطولة حتى شهر أيار أو حزيران، فأعتقد أن الموقف سيكون مشابهاً لما حدث في الحرب العالمية الثانية، حيث سيتوجب إلغاء الموسم في ذلك الوضع». وبالفعل تم تأجيل البطولة حتى أواخر شهر نيسان وبالتالي الدوري بات مهدّداً بالإلغاء.

بين الأمس واليوم

بحسب موقع «Imperial War Museum» البريطاني، يعود آخر تعليق لكرة القدم في إنكلترا إلى عام 1939، حين أعلن اتحاد كرة القدم تعليق جميع أنواع البطولات نظراً إلى اندلاع الحرب، باستثناء تلك التي نظمتها القوات المسلحة.

ورغم صعوبة الظروف في الحرب العالمية الثانية، أقيم برنامج لكرة القدم يقتصر على حضور عدد محدود من الجماهير، من غير المشاركين في الخدمة الوطنية. عرفت إنكلترا حينها برنامجاً إقليمياً محدوداً لبطولتي الدوري والكأس، كما تم إجراء مباريات دولية ومباريات بين الفرق العسكرية المختلفة، وظلت كرة القدم رياضة شائعة حتى استدعاء الملاعبين وتجنيدهم في أعمال الحرب.

استخدمت كرة القدم حينها لتسلية الجيش البريطاني، الذي ظلّ نصفه في البلاد خلال الحرب. فقد تم تشجيع المباريات التنافسية في جميع قطع القوات المسلحة لزيادة اللياقة البدنية للجنود، كما للترفيه عن القوات المتمركزة في المناطق.

إضافةً إلى ذلك ساهمت كرة القدم في زيادة عدد الجنود. ففي مباراة أقيمت في عيد الفصح عام 1939، ألقى قائد فريق «بولتون وانـدررز» هاري غوسلين كلمة حثّ فيها المشجعين على الانضمام إلى الجيش في الحرب، ثم انضم هو والفريق الأول بأكمله إلى الفوج الميداني للمدفعية الملكية، وانضم لاحقاً بعض لاعبي الأندية الأخرى بمن في ذلك ليفربول. عُلّقت كرة القدم في إنكلترا بعد ذلك بسبب الأوضاع الميدانية الصعبة، إضافةً إلى إدخال اللاعبين في التجنيد الإجباري. ونظراً إلى أضرار الغارات الجوية، أصبحت بعض الملاعب مراكز للجيش الإنكليزي، كحال ملعب هايبري الخاص بنادي آرسنال حينها.

بعد تعليق كرة القدم، تم إنهاء عقود اللاعبين المحترفين، ووفقاً لمجلة «Picture Post»، انضم 629 لاعب كرة قدم محترفاً إلى الخدمات العسكرية، 514 في الجيش، 84 في سلاح الجو الملكي و31 في البحرية الملكية.

إضافةً إلى ذلك، استخدم مصنع في أولدبيري 18 لاعباً من نادي وست بروميتش البيون، كما تم استخدام بعض اللاعبين والمدربين من قبل القوات المسلحة كمدربين للياقة البدنية. ومع نهاية الحرب، قُتل 80 لاعب كرة قدم محترفاً وأصيب العديد كما وقع البعض تحت الأسر، فيما استكملت كرة القدم نشاطاتها تدريجياً من دون توقف حتى مجيء فيروس كورونا.

هي المرة الأولى التي تتوقف فيها الكرة الإنكليزيّة منذ قرابة 80 عاماً. الخسارات المادية تتفاقم يوماً بعد آخر، غير أن سلامة اللاعبين والمشاهدين تبقى فوق أيّ اعتبار. من المقرّر أن ينعقد اجتماع للبحث في مصير البطولة، خاصةً في مسألة تتويج ليفربول من عدمه، وسط آراء متفاوتة بشأن ما يجدر القيام به.

> «الريدز» أقرب من أيّ وقت مضى لإحراز لقبه الأول في البطولة منذ عام 1990

كرة القدم تعود إلى الدوران في ووهان!

ينقسم الفريق إلى جزأين، أحدهما في الحجر الصحي والآخر يواظب على التمارين... لكن المؤكّد هو أن فريقاً متواضعاً من مدينة ووهان الصينية، البؤرة الأساسية لتفشّي فيروس كورونا المستجد، بدأ أخيراً يعير انتباهه لكرة القدم مجدّداً.

ينافس فريق «ووهان ثري تاونز» في دوري الدرجة الصينية الثالثة، وكان عادة ما يجذب إلى ملعبه ما بين ألفين وأربعة آلاف مشجع. وبينما كان الفريق هذا العام يستعد للموسم الجديد، انقلب عالمه رأساً على عقب. ويقول مساعد المدرب يو تشن الذي عاش كل فترة الحجر في ووهان، وهو لا يزال هناك «نحن في الحجر الصحي في منازلنا منذ ما يقارب شهرين».

وبطبيعة الحال، أدت الإجراءات والقيود الصارمة التي فُرضت لمكافحة تفشّي الفيروس، إلى إرجاء موعد انطلاق الدوري الصيني إلى موعد غير محدد،

> يتدرب لاعبون من نادي «ووهان ثري تاونز» في المنازل ونصف الفريق يتدرب في جزيرة هاينان

بعدما كان ذلك مقرراً في شباط/ فبراير الماضي. ويقول يو البالغ من العمر 32 عاماً «في السابق، عندما كان الوباء خطراً، كنت أشعر بذعر شديد. في ذلك الوقت، شعرت أن العديد من الأشخاص في هوباي كانوا خائفين كثيراً، بمن فيهم أصدقائي». ويتابع «كنا قلقين على صحة أفراد عائلاتنا، ولم نكن ندرك ما إذا كانوا سيصابون وكيف سيحصل ذلك».

وبينما بدأ الفيروس ينتشر بشكل كبير في مختلف أصقاع الأرض لا سيما في أوروبا التي باتت تعدّ بؤرته الجديدة مع تسجيل حالات كبيرة من الإصابات والوفيات خصوصاً في إيطاليا وإسبانيا، بدأت الصين في المقابل ترى نقطة ضوء في آخر نفق طويل مظلم. وأعلن العملاق الآسيوي يوم أمس، وذلك لليوم الثاني تواليا، عدم تسجيل أي إصابة جديدة بالفيروس محلية المصدر، ما يؤشر إلى أن الإجراءات الصارمة التي تتبعها السلطات المحلية منذ أسابيع، بدأت تؤتي ثمارها.

لكن السلطات الصينية التي بدأت بتخفيف بعض قيود السفر، تخشى الآن تسجيل موجة جديدة من الإصابات لأشخاص عائدين من الخارج. ولم تسجل أيّ إصابة بالفيروس في ووهان ثري تاونز، إن بين اللاعبين أو لدى الجهاز الفني وأفراد النادي، علماً بأن الفيروس حصد حتى الآن أرواح نحو 3300 شخص في الصين غالبيتهم في هوباي. كما لم يخسر أي من اللاعبين أقارب أو أصدقاء بسبب «كوفيد-19».

ويعلق يو على ذلك بالقول: «هذه نعمة وسط سوء الطالع»، لكنه أقر أن بعض اللاعبين عانوا من مشاكل نفسية وذهنية جراء بقائهم حبيسي المنازل فترات طويلة بسبب الحجر الصحي.

ويوجد عشرة من لاعبي الفريق في ووهان التي ما زالت تحت إجراءات وقيود صارمة، وعملوا للحفاظ على لياقتهم البدنية من خلال ممارسة التمارين المنزلية لمدة ساعة يومياً، على مدى خمسة أيام في الأسبوع. وعلى بعد 1500 كلم من ووهان، في جزيرة هاينان الصينية، يوجد 14 لاعباً آخرين يقومون بتمارين مشتركة. ويوضح يو «في الوقت الراهن، الفريق منقسم وما من تمرين مركزي، وهذه هي الصعوبة الكبرى».

ولم تقتصر تبعات الفيروس على «ثري تاونز»، بل طال تأثيره أيضاً فريق «ووهان زال» الذي ينافس في الدوري السوبر (الدرجة الأولى في الصين). وعاد الفريق إلى الصين هذا الأسبوع بعدما علق أفراده في إسبانيا منذ نهاية كانون الثاني/ يناير. وفي ظلّ عدم السماح لأحد بالخروج أو الدخول إلى ووهان، وضع الفريق في الحجر الصحي في مدينة شينزين الصينية. لكن بقاء الفريق في إسبانيا أتاح له مواصلة التدريب بصورة جماعية بالشكل المعتاد، ما قد يمنحه أفضلية على المنافسين الآخرين متى أصبح متاحاً انطلاق الموسم. ويؤكد يو أن لاعبي «ثري تاونز» يتوقون للعودة إلى الملاعب ولمّ شملهم مجدداً، ويأملون في أن يساهموا باستعادة مدينتهم حياتها الطبيعية.

ويوجد مدرب الفريق الأول الإسباني البرت غارسيا مع مجموعة اللاعبين في هاينان، آملاً في أن يتمكن قريباً من الإجتماع بكل لاعبيه. ويؤكد يو أن «مقاطعة هوباي ومدينة ووهان تعودان ببطء إلى العمل، وسيعود العمل في النادي قريباً إلى السكة الصحيحة أيضاً». ويضيف «سيمثّل المصدر، ما يؤشر إلى أن الإجراءات الصارمة التي تتبعها السلطات المحلية منذ أسابيع، بدأت تؤتي ثمارها.

> يتدرب لاعبون من نادي «ووهان ثري تاونز» في المنازل ونصف الفريق يتدرب في جزيرة هاينان

يوجد 14 لاعباً يقومون بتمارين مشتركة في جزيرة هاينان (أ ف ب)

الفيروس «يفتك» بلاعبي الـ NBA

ليس هناك موعد محدد لعودة النشاط (أ ف ب)

اتّسعت رقعة الإصابات بفيروس كورونا المستجد في صفوف أندية دوري كرة السلة الأميركي للمحترفين، مع تسجيل حالات لدى لوس أنجليس ليكرز وفيلادلفيا سفنتي سيكسرز وبوسطن سلتيكس ودنفر ناغتس. وأعلن ليكرز متصدر ترتيب المنطقة الغربية إصابة اثنين من لاعبيه بفيروس «كوفيد-19» من دون أن يكشف هويتهما، بينما أعلن فيلادلفيا أن ثلاثة من أفراده خضعوا لفحوص كانت نتيجتها إيجابية، وذلك بعيد تأكيد دنفر إصابة أحد أعضائه من دون تحديد ما إذا كان لاعباً أم من الطاقم. كما أكد ماركوس سمارت لاعب سلتيكس، أنه مصاب بالفيروس.

وعلّقت منافسات الدوري الأميركي الأسبوع الماضي بعد تأكيد إصابة لاعب يوتا جاز الفرنسي رودي غوبير بالفيروس. ومنذ ذلك الحين، تأكدت إصابة زميله دونوفان ميتشل، وكريستيان وود من ديترويت بيستونز، وأربعة لاعبين من بروكلين نتس أبرزهم كيفن دورانت. لكن عدد الإصابات سجل ارتفاعاً لافتاً الخميس الفائت، مع تزايد وتيرة الفحوص التي يتم إجراؤها في الولايات المتحدة لكشف الإصابات بالفيروس. وأعلن ليكرز الذي يضم في صفوفه النجمين ليبرون جيمس وأنطوني ديفيس، أنه أخضع لاعبيه لفحوص على خلفية خوضهم في 10 آذار/ مارس مباراة ضد بروكلين نتس، وجاءت فحوص اثنين منهم إيجابية. وأكد فريق مدينة لوس أنجليس أن أطباء الفريق يتابعون اللاعبين عن كثب.

وقالت المتحدثة باسم ليكرز اليسون بوغلي في بيان: «علمنا أن لاعبَين في ليكرز أتت نتيجة فحصيهما إيجابية. لا يعاني اللاعبان حالياً من أي عوارض وهما في الحجر الصحي برعاية طبيب الفريق». وتابعت «طلب من جميع لاعبي وأعضاء الجهاز الفني في ليكرز البقاء في الحجر الصحي الذاتي في المنزل ومراقبة صحتهم عن كثب، والتواصل مع أطبائهم الشخصيين والبقاء على تواصل مستمر مع الفريق».

من جهته، كشف سفنتي سيكسرز الذي كان يحتل المركز السادس في المنطقة الشرقية قبل تعليق المنافسات، وجود حالات إيجابية في صفوفه، بعدما حذرت السلطات الصحية من أن بعض اللاعبين، المدربين وأعضاء الجهاز الفني، قد يكونون قد تعرضوا لاحتمال الإصابة بالفيروس الذي أودى بحياة نحو عشرة آلاف شخص حتى الآن حول العالم. وأوضح سيكسرز أن أفراده الثلاثة يخضعون للحجر الذاتي تحت مراقبة الأطباء، وأيضاً من دون كشف أسمائهم. وقال الفريق في بيان «جاءت نتائج ثلاثة أفراد إيجابية لـ(كوفيد-19). كل النتائج الأخرى هي سلبية في الوقت الراهن»، متابعاً «لقد نقلنا المعلومات إلى السلطات الصحية في الولاية والمحلية وفقاً للتعليمات». وتابع «صحة لاعبينا، موظفينا، مشجعينا والمجتمع بالغة الأهمية، ونواصل استشاراتنا للأخصائيين خلال هذه الفترة».

إلى ذلك، أعلن سلتيكس إصابة لاعب في صفوفه، قبل أن يؤكد سمارت (26 عاماً) أنه المعني بهذا الإعلان. وأشار فريق مدينة بوسطن إلى تسجيل إصابة لاعب على الأقل بالفيروس ضمن سلسلة فحوص يجريها للفريق. ونشر سمارت شريطاً مصوراً عبر حسابه على موقع «تويتر»، قال فيه: «لقد علمت للتو أن نتيجة فحصي لفيروس كورونا جاءت إيجابية. أنا على ما يرام وأشعر بحال جيدة. لا أشعر بأي عوارض». ودعا سمارت إلى المساهمة «في حماية الآخرين من خلال حماية أنفسكم».

وكان مفوض رابطة دوري الـ«إن بي إيه» آدم سيلفر قد حذر في تصريحات صحافية من أنه يجب اعتبار لاعبي الدوري بمثابة «ناقلين سريعين» للفيروس الذي أودى بحياة نحو عشرة آلاف شخص حول العالم حتى الآن، وتسبب بشلل شبه تام في مختلف الأحداث الرياضية. وأعرب سيلفر عن أمله في إنقاذ «جزء من الموسم» على الأقل، بعد تعليق المنافسات لفترة غير محدّدة بسبب تفشّي فيروس كورونا المستجد.

وسبق لسيلفر أن أمل باستئناف الدوري بعد 30 يوماً، لكنه قال في مقابلة مع شبكة «إي أس بي أن» الأميركية، إنه غير قادر على تحديد موعد لذلك، وإن معاودة اللعب ترتبط بقرار السلطات الصحية.

على الغلاف

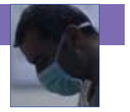

«كورونا» ونموذج العولمة الحالي: تحدّي البقاء

ورد كاسوحة *

المُلاحظ، حتى الآن، في خريطة انتشار فيروس «كورونا»، أنه يصيب الدول الصناعية أكثر من غيرها. النشاط الصناعي تضرّر كثيراً من الفيروس، ومعه كلّ منظومة العولمة التي تقوم على تنقّل السلع والرساميل أكثر من الأفراد. معدّلات النمو في الاقتصادات الكبرى، ستشهد في المرحلة المقبلة انخفاضاً كبيراً، بسبب القيود التي فُرضت على الحركة التجارية بين الدول، وهو ما سينعكس مستقبلاً، ليس على معدل الإنتاجية فحسب، بل أيضاً على وجهة التراكم، كون القيود أصبحت محصورة بأوروبا، بعد انتقال بؤرة الوباء إليها من الصين.

ثمن سياسات التقشّف

معدّلات الإصابة هناك تشهد ارتفاعاً كبيراً، ولكن في الجنوب الأوروبي (إيطاليا وإسبانيا)، حيث ليس ثمّة بنية تحتية معدّة لمواجهة الوباء، كما حدث في الصين، أو كما يُتوقّع أن يحدث حين يرتفع معدّل الإصابات أكثر في الدول الغنية (فرنسا، ألمانيا، بريطانيا). هذه الدول (إسبانيا وإيطاليا) لم تشهد زيادات في معدّل الإنتاجية، ولا حتى في توزيع الفائض في موازناتها، منذ أزمة سياسات التقشّف في عام 2015، وهي لا تزال تعاني من تبعات الإملاءات التي فُرضت عليها، حينها، من جانب ترويكا الدائنين، وعلى رأسهم ألمانيا. النقص الحالي في التجهيزات الخاصّة باحتواء الوباء، هو نتاج هذا الخضوع الذي جعل كلّ ناتجها الإجمالي يصبّ في خدمة الديون المتراكمة عليها تجاه ألمانيا وباقي الدول الغنية في المِنطقة. حدوث التراكم بهذه الطريقة، أي من الجنوب إلى الشمال، جعلها تدفع الثمن عن أوروبا كلّها، حين انتشر الفيروس فيها، ولم تجد نتيجةً للاقتطاعات السابقة ما يكفيها من ملاءة مالية لمواجهته. الحدّ من الانتشار سيحصل، على الأرجح، بُعيد حزيران/يونيو المقبل، ولكن ليس قبل حصد المئات من الأرواح، وانكشاف البلاد تماماً، سواءً أصبحت محصورة بأوروبا، على تبعات الأزمة الاقتصادية التي ستكون مدمّرة أكثر من الفيروس نفسه. ذهاب ثمار التراكم السابق إلى ألمانيا والدول الغنية، سيعمّق، على ضوء انكشاف البلاد صحياً واقتصادياً، أزمة النموذج الرأسمالي في أوروبا، كونه يقوم ليس فقط على تبعية الجنوب للشمال، بل أيضاً على تفاوت شديد في الاستفادة من ثمار العولمة بينهما، لجهة حركة البضائع والرساميل التي تشهد أزمة الآن، ولكن ليس بالنسبة إلى الشمال. القيود، حالياً، تطال بسبب الحاضنة البشرية للفيروس الأفراد أكثر، وهذا يؤثّر بدرجة كبيرة على انتقال الطبقة العاملة الأوروبية بين الجنوب والشمال للعمل، ما سينعكس على إنتاجيتها في ألمانيا وغيرها من الدول الصناعية الأوروبية. ولكن حركة رأس المال هناك ستستمرّ، ومعها التراكم الذي سيتراجع طبعاً، ولكن ليس بقدر الانخفاض الذي سيطال دخل الطبقة العاملة حين ستُفرَض عليها تماماً إجراءات العزل والحجر الصحّي. بهذا المعنى، سيكون تأثير تراجع معدّلات النمو متفاوتاً بشكل كبير، حيث تدفع الدول الأكثر فقراً ومعها طبقاتها العاملة ثمن التقييد الحاصل للعولمة على شكل انتشار أكثر للأوبئة وانهيار أكبر في معدّلات الدخل، بعدما دفعت سابقاً ثمن استبعادها منها، على هيئة إملاءات للتقشّف وحدّ كبير من الإنفاق الاجتماعي.

تحدّي نجاة الصين

تجاوُز الصين أزمة انتشار الفيروس فيها، لا يعني بالضرورة نجاتها من تبعاته على حركة السلع والرساميل. الإجراءات المتّخذة هناك، أتبعت المنهج نفسه الذي نظّم حركة التجارة العالمية لمصلحتها في العقدين الأخيرين. المركزية الشديدة في التعامل مع انتشار الوباء حدّت من الضرر الذي كان من الممكن حدوثه، ليس على الأرواح فحسب، بل على القطاعات الاقتصادية الأساسية أيضاً. الاستخدام الواسع النطاق للتكنولوجيا العالية الموطّنة أو المنتَجة محلياً في المواجهة، أثبت قدرة الدولة هناك على الاستفادة من نجاحها في التصنيع على نطاق عالمي، بحيث تتحوّل هذه التقانة، بعد حدّها من انتشار الوباء، إلى خبرة أخرى تضاف إلى مجموع الخبرات التي راكمتها الصين أثناء انتقالها من نموذج رأسمالية الدولة المحدودة إلى النموذج الرأسمالي العولمي الذي يشهد باستثناء تجربتها تراجعاً كبيراً حالياً. هذا التراجع سيزداد مع نجاح الفيروس في الحدّ من حركة تنقّل السلع والرساميل والأفراد عبر الحدود، وسيتراجع معه على الأرجح تعويل الصين على الاستثمار في البنى التحتية التي يقوم عليها مشروع الحزام والطريق الذي تقوده في آسيا وأوروبا، والذي من دون هذه الحرية في التنقّل والتجارة سيصبح بلا جدوى اقتصادية كبيرة. طموحها لقيادة العولمة سيستمرّ طبعاً، كونها تستحوذ مع الولايات المتحدة على الحصّة الأكبر من التجارة العالمية، وهو ما يضعها بعد انكفاء أميركا على نفسها تجارياً تحت إدارة دونالد ترامب الحمائية في موقع المنافح الأوّل عن اتفاقيات التجارة الحرّة، التي ينسحب منها الرجل تباعاً. هذه الفلسفة التي تقول بعدم جواز وضع عراقيل على حركة التجارة، لكي تكون الاستفادة منها مشتركة ومتساوية بين الدول الرأسمالية، وحتى بينها وبين الدول النامية، ستتعرّض لهزّة كبيرة حين ينتهي العالم من هذا الوباء، ويبدأ في إحصاء الخسائر التي تسبّب بها على صعيد التجارة الدولية وحركة الرساميل عموماً. الوباء لم يعرقل فقط حركة التجارة العالمية، بل كشف عن حدود النموذج الذي كانت تقوده الولايات المتحدة قبل انكفائها الحمائي، وكيف أنه سيكون عرضة ليس فقط للتراجع بل أيضاً «للانهيار»، بمجرّد حدوث هزّة من النوع الذي أحدثه الفيروس في القواعد المنظّمة لآلية التراكم بشكلها الحالي. بهذا المعنى، فإنّ الصين ستكون في المرحلة المقبلة أمام تحدّي، ليس فقط الاستفادة من تجربتها الخاصّة في مكافحة الوباء لتعميمها عالمياً، بل أيضاً النجاح في الحفاظ على «النموذج التجاري» الذي اندثر تقريباً معه، لجعله ـ بعد خروج الولايات المتحدة القريب ـ متناسباً مع مصلحة الفئات الشعبية التي دفعت الثمن أكثر من سواها.

مستقبل الحمائية الاميركية

الحمائية الأميركية التي يقودها ترامب تعرّضت بدورها لهزّة كبيرة مع كلّ هذه الأضرار على حركة التجارة العالمية. ما أبرزته الأزمة لحدّ الآن هو أنّ التعارض الظاهري بين العولمة والحمائية، لن يصمد كثيراً أمام حجم التقويض الذي تتعرّض له المنظومة الرأسمالية على الصعيد العالمي. فالحمائية، في النهاية، هي نتاج لهذا التركّز الكبير للثروة على صعيد العالم، والتغيير الكبير الذي أحدثته على صعيد اتجاهات الرأسمال لم يكن في مصلحة أكثرية دول العالم، بل حصل لمصلحة الولايات المتحدة وحدها، عبر تحسين حصّتها من الميزان التجاري مع الدول الرأسمالية الأخرى، وإنهاء العمل بالأطر التعددية في اتفاقات التجارة الحرّة مع الشركاء الرأسماليين، لمصلحة أخرى ثنائية تصبّ بالكامل في مصلحتها. هذا جعل حصّة الاقتصاد الأميركي من التجارة الدولية أكبر، وأدّى إلى استعادة رساميل وصناعات كثيرة إلى داخل الولايات المتحدة، بغرض خلق عدد كبير من الوظائف للطبقة العاملة البيضاء التي تعتبر قاعدة ترامب الداخلية الصلبة، إثر نقمتها الكبيرة على التراجع الذي أصاب مداخيلها في حقبة صعود الحزب الديموقراطي مع إدارتي كلينتون وأوباما. انعكس ذلك على نسبة النموّ التي شهدت تحسّناً كبيراً في هذه الحقبة، وهو ما كان يعوّل عليه ترامب، لتحصين الفترة المتبقّية من ولايته في مواجهة إجراءات العزل، على أمل أن يكون هذا النعافي في الاقتصاد مدخله الأساسي إلى ولاية رئاسية جديدة. الحمائية هنا نجحت على صعيد الداخل اقتصادياً، وفي مواجهة الشركاء الرأسماليين خارجياً، على أنّ هذا النجاح يبقى مرهوناً باستمرار مفاعيلها في مواجهة التحوّلات التي تخضع لها العولمة، كونها تمثّل بمنهجها «النقدي» التجاوز الأكبر لها على صعيد العالم، ولكن في إطار الخضوع لنتائجها، لجهة الاستفادة أكثر من ثمارها أميركياً. بهذا المعنى، فإنّ الحمائية التجارية الآن أمام تحدّي الحفاظ على مكاسبها، في ظلّ نكوص حركة التجارة على مستوى العالم، وبالتالي تراجُع المداخيل التي غذّت ازدهارها في الداخل على حساب الشركاء الرأسماليين في الخارج، بعد تعديل كلّ الاتفاقيات التجارية معهم لمصلحتها. حتى الحروب التجارية التي خيضت مع الصين لصالح شركات التكنولوجيا الأميركية، التي عاودت الإنتاج في الداخل، ستصبح نتائجها على المحكّ في حال لم يتمكّن الخصم الصيني من الحفاظ على النموذج الذي يضخّ الثروة في العالم بشكل متساوٍ. الحمائية التي يقودها ترامب معنيّة أكثر من الصين بالحفاظ على النموذج لأنّ معارضتها له شكلية، حيث لا مصلحة لها بتجاوزه إلا بحدود ما يسمح به نمط الإنتاج الذي يموّل بقاء الرجل في الرئاسة حالياً، وصول الفيروس إلى الولايات المتحدة بعد تقويضه لحركة التجارة الدولية، يهدّد ليس فقط هذا البقاء، بل أيضاً نمط الإنتاج الذي يقوم عليه، والذي يتعارض مع توزيع الثروة خارج الولايات المتحدة، وفي إطار طبقي يتعدّى الأكثرية العمالية البيضاء في الداخل التي تدعم ترامب.

* كاتب سوري

أنجل بولبغان ـ المكسيك

«كورونا» يحسم الأمر: النظام الدولي هشّ!

رائد المصري *

كشفت أزمة الوباء العالمي «كورونا»، هشاشة هذا النظام الدولي ومؤسّساته وبناه الصحّية والخدمية، وعلى أكثر من مستوى، خصوصاً مستوى الأنسنة في العلاقات الدولية وتقييم الأضرار والحفاظ على الإنسان الفرد كقيمة بحدّ ذاته، وهو ما لم نتلمّسه حتى اليوم من خلال مواجهة هذا الفيروس المُقرون بهذه الكمية من الحِقد التاريخي والعنصرية، التي لا يزال يباهي بها البعض، وبما يتعلّق بتوحّش الكثير من أنظمة الحكم المتفلّتة من كلّ قيد أو ضبط أو التزام بالحدّ الأدنى من المعايير الأخلاقية.

فحتى لو سلّمنا جدلاً بأنّ فيروس «كورونا» لا دخل له بالحرب البيولوجية التي تتّهم فيه كلٌّ من الصين وإيران الولايات المتحدة، فمن خلال تتبُّعنا لتصريحات المسؤولين الأميركيين وكيفية التعاطي مع هذا الوباء، يمكن الاستدلال إلى حجم هذه الهمجية والتوحُّش تجاه الدولة الموبوءة، خصوصاً الصين وإيطاليا وإيران، إذ تمتنع أميركا عن تقديم أي مساعدات طبية وإنسانية لإيران كما تمتنع عن فكّ العقوبات، حتى ولو بالإطار الطبي، بينما الصين مهّدَ هذا الوباء، التي أصابتها الخسائر البشرية والاقتصادية والمادية، ترسل المساعدات كبفية حصار هذا الفيروس القاتل.

بعطينا هذا الاستعراض فكرة عن الخلل البنيوي الحقيقي في المنظومة الدولية الحاكمة، والتي طالما تبوّأت الصدارة العالمية في المؤسّسات الدبموقراطية والتقنيات الصناعية والتقدّم في جميع المجالات الطبية وغيرها من التكنولوجيات، حيث تلجأ بريطانيا مثلاً إلى محاولة تطبيق نظرية حماية القطيع، عبر ترك الفيروس يتفشّى بين أغلبية المجتمع البريطاني، فمَن هو متقدّم في السّن يرتفع إلى علّياء ربه، ومن هم من عُمُر الشباب يتفوّقون على هذا المرض ويكتسبون المناعة... إنّها حالة الهستيريا العنصرية بأبشع صورها، ومشهدية نراها اليوم تتكرّر، وكأن التاريخ يعيد نفسه فعلاً بأبشع صوره.

الرأسمالية النيوليبرالية المتوحّشة، التي استباحت الكرة الأرضية منذ ما يزيد على ثلاثين عاماً، بات واجباً عليها أن تستريح وتخفّف عن عبء هذا الكوكب الكثير من الأمراض والأضرار والأوبئة، التي نشرتها بكثافة بين الناس، وفي تدمير الطبيعة وتلوُّث الهواء وثقب طبقة الأوزون، لإعطاء المزيد من الفرص التي تريح الكوكب من عناء العولمة وتوحّشها ومن ردم للبحار وبناء العقارات وتضخّمها، وطرحها في مضاربات الأسواق المنفوخة للربح الريعي غير المنتج وإفلاس البنوك وتضخيم القيمة الورقية وانهيار اقتصادات البلدان. وبات على العالم اليوم التفكير جدياً في ضرورة التخلّص من هذه المهزلة، ومن هذه الهيمنة لزعماء المؤسسات في الدولة الأميركية العميقة وأجهزة استخباراتها التي لا تُقيم أي وزن للاعتبارات الإنسانية والأخلاقية والتدمير الممنهج للشعوب، لأنّه بحسب اعتباراتها هي مجرّد أرقام في معادلة الكسب والربح المادي السريع أيا تكن النتائج. هذا إذا ما صحّت اتهامات الصين لأميركا بأنها المسبّب في هذه الحرب الجرثومية عليها، لمنعها من استكمال مجال أنشطتها الاقتصادية وبناء منظومتها المالية وقواعد الإنتاج الحقيقية، لإعادة رسملة العالم وتخفيف حدّة الفقر والبطالة والتضخّم.

اليوم، يعيش كوكب الأرض في حالة هدوء وسكينة وصفاء، بعد الحَجْر شبه الكامل له وعلى أبنائه من سكّان البشر وتوقّف ماكيناتهم في العمليات الصناعية، والتوقّف الجزئي عن تدمير البيئة والطبيعة، عسّى أن تكون هذه التجربة المرؤعة، في اقتحام الـ«كورونا» لكلّ البيئات السكانية، درساً كبيراً وعبرة للاتّعاظ من نِعْمة العيش فيه والتمتُّع بخيراته وجماله، بقدر ما قد كشفت هذه الأزمة القاتلة حجم معدنهم الطيب بعد، رغم هول الكارثة. لكن الأهم، هو اكتشاف الإنسان لنفسه وقدرته كفرد على المواجهة وعدم الاستسلام واليأس أمام وحوش فيروسية قاتلة غير مرئية، وهو اختبار بَشري يُعَدّ الأوّل من نوعه في التاريخ الإنساني الحديث، من حيث الخبرة التي يكتسبها المرء من جرّاء المواجهة والصلابة.

أخيراً نقول بعدَ كل ما جرى، كشفت حدّة أزمة وباء «كورونا» أنّ الصين تستحقّ، وعن جدارة، أن تتقدّم العالم علمياً وتكنولوجياً وانتظاماً مؤسساتياً وأنسَنة في العلاقات الدولية، والأهم من كلّ ذلك هو نقل العلاقات بين الناس والدول والشعوب إلى إطارها الإنساني والأخلاقي والتوَعُّوي، بعيداً عن الماديات ومنطقها المتحكّم والمزمن، وبعيداً عن الرّبا والفجور وغيرهما من الموبقات، وعسى أن يكون درساً للإنسانية جمعاء.

الراسمالية النيوليبرالية المتوحّشة، التي استباحت الكرة الارضية منذ ما يزيد عن ثلاثين عاماً، بات واجباً عليها ان تستريح

*أستاذ في العلوم السياسية والعلاقات الدولية

التعلم عن بعد: لسنا جاهزين تكنولوجياً

علي حمية *

معروف ان طرائق التعلّم غير التقليدية هي التي تستعمل تقانات التواصل والمنهجيّات الحديثة في وضعيّات صفّيّة مستجدّة، ولا تقوم فقط على قاعدة المواجهة المباشرة والتواصل الحيّ بين المعلّم والمتعلّم. ووفقاً لذلك، فهي كلّ طريقة تعليميّة عصريّة تُبنى على قوام تقني باستخدام الوسائل المساعدة التكنولوجيّة وطرائق الإستراتيجيّات التربوية الحديثة لتأمين التفاعل بين المعلم والمتعلّم وفي مسعى هذا الأخير لامتلاك المعرفة.

لا شك في أن قطاع التعليم من أكثر القطاعات تأثراً بالأزمات التي فرضت البحث عن وسائل وحلول لملء الفراغ التعليمي، وتعويض النقص التربوي، وتدارك الفجوة المعرفية التي يعاني منها الطلاب في مختلف المراحل الدراسية. وكان للتقدم التكنولوجي أثرٌ كبير على العملية التعليمية برمتها، إذ لم يعد التعليم بطرائقه التقليدية في نقل المعرفة قادراً على الإيفاء بمتطلبات تلك العملية واستيعاب الأعداد الكبيرة من الأفراد في كل مراحله. لذا، بدأت المجتمعات في البحث عن صيغ جديدة للتعليم تعتمد على المتعلم نفسه (التعلم الذاتي)، والتعلم مدى الحياة، فضلاً عما نحن في صدده اليوم: التعلّم عن بُعد.

في ظل الظروف الراهنة والاستثنائية التي يمر بها لبنان، منذ إندلاع الحراك في 17 تشرين الأول 2019 وصولاً إلى تفشي وباء «كورونا»، تم اعتماد طرائق التعليم عن بعد في كل المراحل التعليمية. وكان الهدف الاساس الحفاظ على صحة المواطنين وسلامتهم واستثمار الوقت وعدم ضياع أي فرصة لتعليم الطلاب... ولكن من دون رؤية موحدة وشروط واضحة لهذا النوع من طرائق التعليم... فكيف ذلك؟

يعاني تطبيق آلية التعليم عن بعد في لبنان من معوقات عدة. فثقافة الاغلب الاعم من المعلمين، في كل المراحل التعليمية، لا تزال تقليدية، وغالبية المؤسسات التعليمية في لبنان لا تتمتع بالجهوزية التكنولوجية الكافية لضمان جودة التعليم وإنتاجيته، كم أن البنية التحتية لشبكة الاتصالات لا تغطي كافة المناطق وجودة الانترنت سيئة مقارنة بما هو موجود في أغلب الدول، علماً بأنّ رسم الإشتراك في هذه الخدمة هو الاعلى عالمياً.

وما يزيد من صعوبة التطبيق عدم جهوزية لبنان لهذه المرحلة، مقارنة مع غالبية الدول المحيطة والاقليمية، لا سيما لجهة وجود قانون واضح يحدد شروط وأصول إسداء برنامج تعليمي نظاميّ في التعليم وفق طرائق غير تقليدية ومنها التعليم عن بعد. فهل تستمر الدولة اللبنانية في نهج ردة الفعل، وعند انتهاء الازمة لا تستخلص العبر، أم ستنتقل الى نهج استباقي من خلال دراسة واقع حال جميع القطاعات الخدماتية في لبنان ورسم خطة اصلاحية شاملة ومن ضمنها التعليم؟ أولى المهمات تشكيل لجنة لدراسة وأقع حال المؤسسات التربوية، مثل المدارس والثانويات والجامعات، في مجال التعليم عن بعد، واعداد توصيات ملزمة لكل المراحل وتوزيعها على المؤسسات التربوية لاعتمادها في إسداء التعليم عن بعد، بهدف التحقق من إنجاز الأهداف التعليمية لبرنامج تعليمي من خلال تقييم المعارف المكتسبة والمهارات والكفايات، وليس الاكتفاء فحسب بتعاميم حول طرق اسداء التعليم، وصولاً إلى قانون يتم من خلاله تحديد شروط وأصول إسداء برنامج تعليمي نظاميّ في حقل التعليم وفق طرائق غير تقليدية.

السؤال الأساسي الذي يجب أن نطرحه ليس فقط طرائق التعليم على صعوبتها، انما أيضاً كيفية تقييم مكتسبات ومهارات المتعلم والتأكد من انه اكتسبها. إذ أنّ محور التعليم لم يعد المعلم بل الطالب. اضافة الى ذلك، السؤال عن مدى اكتساب المتعلم للمعلومة اهم بكثير من سؤال المعلم ما الذي قام بتعليمه.

من هنا، أريد نطرح بعض التساؤلات بما اننا نسدي، حاليا وخلال الازمة، خدمة التعليم النظامي في المؤسسات التربوية في لبنان بطرائق غير تقليدية: هل البنية التحتيّة في لبنان - واهمها شبكة الاتصالات - قادرة على توفير متطلبات هذه الطرائق؟ وهل لدى كل المؤسسات التربوية الخبرة الكافية في استعمال المنصات الالكترونية المختصة بنظام إدارة التعلم؟ وهل الأمن السيبراني وأمن المعلومات من أولويات الدولة لحماية بيانات الجامعات والطلاب بشكل منظم وهادف؟ وهل هناك وحدات تربوية مناط بها تأهيل وتدريب الهيئات الأكاديمية في المؤسسات التربوية؟ وهل هناك من اختصاصيين في الهندسة التربويّة يقومون بتصميم البرامج التعليميّة التي تعتمد تكنولوجيا المعلومات وتطوّيرها وادارتها وتقييمها؟ هل قامت المؤسسات التربوية بتأمين جهوزية للطالب لجهة تمكينه من امتلاك قدرات استعمال تقانات المعلومات والتواصل الحديثة التي تمكّنه من متابعة الدراسة في بيئة غير تقليديّة؟

أسئلةٌ برسم المعنيين، فهل من مبادر؟

بناءً عليه، وحفاظاً على صحة المعلم والمتعلم في هذه الظروف القاهرة التي يمر بها الوطن، نرى ضرورة التوجه لاستخدام التعليم عن بعد، وبشكل مؤقت، من خلال:

تحضير المادة العلمية (PPT, PDF, Homework, Recorded videos, Assignments...) بطريقة تتوافق مع طرائق التعليم عن بعد واعتماد المنصة الالكترونية Google Classroom لنشر تلك المادة. وهذه الطريقة تُعرف بالتَعلّم غير التزامني، وهو الذي يسمح للمتعلمين باستكمال التعلم بالوتيرة المناسبة لهم، وفي الوقت الذي يختارونه، كما يسمح لهم بالولوج إلى المادة التعليمية كلما احتاجوا إليها في أي وقت وأي مكان، لكنه لا يسمح لهم بالمشاركة والتفاعل الحي مع المعلم.

كما ينبغي أن يترافق ذلك مع الزامية التعلم التزامني باعتماد تطبيق Zoom او اي تطبيق آخر. وهو تَعلم شبيه بالفصول الدراسية الحقيقية وفي توقيت الحصص الدراسية المحددة سابقاً، ولكن عن بعد، فيجري التفاعل من خلال الدردشة والرسائل الفورية، أو اجتماعات الصوت والفيديو، ما يساعد على المُتابعة المُستمرة وإضفاء الطابع الشخصي على التعلم برمته.

*نائب رئيس جامعة AUL للشؤون الأكاديمية

الأخبار al-akhbar
■ رئيس التحرير ـ المدير المسؤول: ابراهيم الأمين
■ نائب رئيس التحرير: بيار أبي صعب
■ مدير التحرير: وفيق قانصوه
■ مجلس التحرير: حسن عليق، إيلي حنا، أمل الأتحري
■ صادرة عن شركة أخبار بيروت
■ المكاتب: بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد ـ الطابق الثامن
تلفاكس: 01759500، 01759597
ص. ب 113/5963
■ الإعلانات: الوكيل الحصري ads@al-akhbar.com 01/759500
■ التوزيع: شركة الأوائل 15ـ 01/666314 ـ 03/828381
■ الموقع الالكتروني www.al-akhbar.com
■ صفحات التواصل: /AlakhbarNews، @AlakhbarNews، /alakhbarnews-paper

العراق

بين التوافق على استبداله، ومحاولات البعض تمريره برلمانياً، مقابل تقديمه ضمانات تحفظ مكاسبه، يبدو مصير المكلّف بتشكيل الحكومة العراقية عدنان الزرفي عالقاً، بانتظار جلاء الاتصالات السياسية التي تشهد سخونة مرتفعة

الزرفي بين التوافق على تغييره... ومحاولة تمريره

بغداد – **الأخبار**

فشل أركان «البيت السياسي الشيعي»، أمس، في إيجاد بديل من المكلّف لرئاسة الوزراء عدنان الزرفي. الاجتماع الثاني، في منزل زعيم «تيّار الحكمة الوطني» عمّار الحكيم، وبمشاركة ممثلين عن «التيّار الصدري»، أسفر عن نتيجة «إيجابية» واحدة، تقضي بـ«البحث عن بديل من المكلّف»، في المقابل، ثمّة من يؤكّد، ممن التقى الزرفي، أن الأخير عازم على تحمّل مسؤوليّاته كافةً، وسيجري اتصالاته مع مختلف القوى السياسية لتشكيل فريقه الوزاري، على أن يترك قرار «التمرير» للبرلمان، من دون التدخّل في قرارات الكتل النيابية.

في المقابل، يقود زعيم «ائتلاف دولة القانون» نوري المالكي، حراكاً من شأنه عرقلة اتصالات الزرفي، مكرّراً بذلك حراكه المعرقل لتأليف محمد توفيق علّاوي، «كابينته» الوزارية. مصادر متابعة تؤكّد أن المالكي يسعى إلى تشكيل جبهة «عابرة للطائفية» في مواجهة خيارات زعيم «التيّار الصدري» مقتدى الصدر، والتي كان آخرها الزرفي. الأخير، لا يملك، حتى الآن، جواباً واضحاً عن دعم الصدر له من عدمه. فالنقاشات تشي بأن الصدر قد «رفع الغطاء عنه»، لكن ثمّة من يؤكّد أن الرجل متمسّكٌ بخياره، لاعتقاده أنّه «يضرب أكثر من عصفور بحجر واحد»، من المالكي الرافض لعودة أي وجه مقرّب من غريمه في حزب «الدعوة الإسلامية» رئيس الوزراء الأسبق حيدر العبادي، إلى زعيم «تحالف الفتح» (ائتلاف يضم الكتل المؤيّدة لـ«الحشد الشعبي») هادي العامري، الرافض هو الآخر لوجه منحاز بشكل كامل إلى المعسكر الأميركي، وصولاً إلى الحكيم، الرافض كذلك لشخص يتحمّل مسؤولية إحراق مرقد عمّه مؤسس «المجلس الأعلى العراقي» محمد باقر الحكيم، في مدينة النجف، أواخر العام الماضي. وينقل مطّلعون أن المناخ «المُعلن»، الرافض لترشيح الزرفي مغاير لمناخ بعض القوى، كـ«الفتح»، المنقسم على نفسه؛ بلغت هؤلاء إلى أن اتصالات مكثّفة تُجريها وجوه بارزة في التحالف مع الزرفي، لتمرير الأخير برلمانياً، شرط أن يحفظ المكلّف «حصصهم ومصالحهم». هذا التضارب، وفق مصادر سياسية، أيل إلى الحل في الأيام القليلة المقبلة، بخروج أبرز أركان «البيت الشيعي» بموقف حاسم من تكليف الزرفي، وتقديم بديل إلى رئيس الجمهورية برهم صالح، المتهم بتعبير قوى وأحزاب بـ«التلاعب بالمشهد السياسي، وخدمة أجندة خارجية».

> الزرفي لا يملك حتى الآن جواباً واضحاً عن دعم الصدر له

«كورونا»... العذر الأميركي لإعادة التموضع في العراق!

بغداد – **الأخبار**

أكّد مصدر عسكري عراقي رفيع، في حديث إلى «الأخبار»، نيّة الجانب الأميركي إخلاء معسكراته في كركوك والقيارة، شمال البلاد، بعد إخلائه معسكر القائم، الواقع في المنطقة الحدودية مع سوريا، والذي أُنشئ مع انطلاق عمليات استعادة القائم العراقية - الباغوز السورية، أواخر عام 2017. وأضاف المصدر أن «الانسحاب الثاني سيشمل معسكرَي k1 في محافظة كركوك، والقيارة في محافظة نينوى» (ثمّة حديث عن انسحاب من 3 قواعد أخرى في محيط العاصمة العراقية بغداد؛ راجع «الأخبار» عدد 4010)، واصفاً ذلك بـ«الخطوة الإيجابية تجاه القرار البرلماني» الصادر في 5 كانون الثاني/ يناير الماضي، والقاضي بانسحاب مختلف القوّات العسكرية الأجنبية من بلاد الرافدين. وينقل المصدر أن «التحالف الدولي لمكافحة تنظيم داعش» بقيادة الولايات المتحدة، أبلغ الجانب العراقي عزمه على «الانسحاب» من القواعد والمنشآت التي يشغلها (إلى جانب القوّات العسكرية العراقية) في المدى المنظور، من دون أن يقدّم مزيداً من التفاصيل. مصادر أمنية أخرى، وفي حديث إلى «الأخبار»، أكّدت أنّ «الانسحاب، أو الإجراء الأميركي الحالي، هو إعادة تموضع وضبط انتشار للقوّات في عدد محدود جدّاً من القواعد»، مؤكّدة أن واشنطن تريد انسحاباً «سلساً... يحفظ ماء وجهها». هنا، تبرز «الحجّة» الأميركية – الأوروبية (عدد من الدول العاملة في «التحالف»، أبرزها بريطانيا)، لتبرير بعض انسحاباتها المرتقبة، مع تعليق تدريب القوّات العسكرية العراقية خوفاً من تفشّي وباء فيروس «كورونا».

> الجانب الإيراني مطّلع على مسار المفاوضات القائمة

وفيما تؤكّد المصادر أن قاعدتَي «عين الأسد الجوية» (غرب البلاد) و«أربيل» (إقليم كردستان) ستستقبلان القوّات الأميركية التي سبق أن انتشرت على طول الخارطة العراقية، فإنّها تلفت إلى أن الجانب الإيراني مطّلع على مسار المفاوضات القائمة و«راض عن نتائجها». فالجانب الأميركي (وبعلم طهران) «لا يريد انسحاباً كاملاً من العراق، بل ضبط انتشار قوّاته، حتى لا تكون أهدافاً سهلة للفصائل المسلّحة».

وأمام هذه المستجدات، وربطاً بما نشرته «الأخبار» سابقاً، فإن العام الجاري قد يشهد إعادة تموضع لمختلف القوّات الأميركية المنتشرة في العراق، بـ«حجّة الكورونا» (إضافة إلى التكاليف المالية الباهظة)، التي قد تكون مخرجاً «يحفظ ماء وجه واشنطن»، لكنها واقعاً تخشى تكراراً للهجمات الصاروخية على مصالحها، والتي أسفرت في الأيام الأخيرة عن سقوط عدد من القتلى والجرحى. مشهدٌ «لن يمرّ دون مواجهات موضعية، بين القوات الأميركية والفصائل»، بتعبير مصادر أمنية عراقية مطّلعة، تؤكّد في حديث إلى «الأخبار» أن «إعادة التموضع الأميركي قطعاً لن تمرّ بهدوء، بل ستكون مرافقة لضربات متبادلة، لكن الخشية تكمن في انزلاقة ما لا يريدها أي طرف كان، في هذا الظرف».

فلسطين

الوباء يحاصرنا أيضاً: رسائل تصعيد من غزة

على الرغم من حالة الهدوء الكبير الذي فرضه انتشار فيروس «كورونا» على جبهة قطاع غزة، فإن تدهور الوضع الاقتصادي للغزيّين تفاقم لتأثّرهم بشكل كبير بحالة الإغلاق المفروض، ما دفع حركة «حماس» إلى تهديد سلطات الاحتلال، عبر الوسطاء، بإمكانية التصعيد، الأمر الذي ردّت عليه حكومة العدو بأنها لن تحتمل أي هجوم عليها

غزة - **الأخبار**

شهدت الأيام الماضية، بحسب ما قالته مصادر في حركة «حماس» لـ«الأخبار»، اتصالات بالوسطاء المصريين والقطريين، لمتابعة الوضع الاقتصادي في قطاع غزة، في ظل حالة الطوارئ الصحّية التي يعيشها أهل القطاع، وعدم قدرتهم على تحمّل التبعات الاقتصادية لهذه الحالة.

وتضمّنت الرسائل أنه يمكن تسخين الأوضاع الميدانية على حدود القطاع بما يؤدي إلى وضع لا ترغب فيه سلطات الاحتلال، إذ «يمكن للمقاومة إدخال نصف المجتمع الإسرائيلي إلى الملاجئ، ما يضاعف أعداد المصابين بفيروس كورونا ويفقد دولة الاحتلال السيطرة عليه».

وتزامنت رسائل الحركة مع تحذيرات بأن حالة الهدوء الحالية قد تتدهور، في حال تأخّر إدخال المنحة القطرية (كما جرى الشهر الماضي)، 16 مليون دولار تشمل تقديم منحة بقيمة 100 دولار لـ 120 ألف أسرة فقيرة، إضافة إلى إدخال مساعدات لمواجهة فيروس «كورونا» وللسيطرة على عمليات حجر المسافرين العائدين في خلال الفترة الأخيرة.

وفي السياق ذاته، قالت المصادر «الحماسية» إن القطريين أبلغوهم عدم وجود أي تغيير في سير المنحة، وأن هناك رغبة من حكومة الاحتمال في استمرار حالة الهدوء، مبدية تجاوبها مع إدخال المنحة القطرية والمساعدات إلى قطاع غزة، خلال الأسبوع الحالي.

> «حماس» طلبت من الوسطاء الضغط على الاحتلال لتوفير المستلزمات الطبّية

لكن، لا يزال القطريون يبحثون عن آلية إرسال الأموال الجديدة إلى القطاع، في ظل توقّف الرحلات الدولية. ومن بين الآليات المقترحة تحويل الأموال عبر البريد من دون توجّه السفير القطري محمد العمادي، أو نائبه، إلى غزة، فيما يتسلّمها موظفو اللجنة القطرية وتوزّع بالطريقة ذاتها التي كانت تجري في الأشهر الماضية.

وعلمت «الأخبار» أن «حماس» طلبت من الوسطاء الضغط على الاحتلال لتوفير المستلزمات الطبّية لمواجهة فيروس «كورونا» في حال وصوله إلى القطاع.

وبخلاف الرسائل الإيجابية التي أرسلتها حكومة الاحتلال، كشف المحلّل العسكري في صحيفة «يديعوت أحرونوت»، اليكس فيشمان، أن دولة الاحتلال حذّرت عدّة جهات ودول في المنطقة من القيام بأي هجمات ضدّها، وأنه «لن نتحمل أي استفزاز في الفترة الحالية. لا تحاولوا أن تجرّبونا. أي استفزاز سيقابل برد فعل غير تناسبي».

ولمّح فيشمان إلى أن سلاح الجو الإسرائيلي يواصل نشاطه الدائم بالتحليق في سماء المنطقة، من أجل التأكّد من أن الرسائل قد فُهمت، موضحاً: «في الدول المعادية يشاهدون جيّداً الطائرات من خلال الرادارات ويفترض أنهم يدركون من ذلك أن إسرائيل تقصد بجدية تنفيذ تهديدها والنتيجة، حتى الآن، هي أن الرسالة استوعبت بكاملها».

لا يزال القطريون يبحثون عن آلية إرسال الأموال الجديدة إلى القطاع (أ ف ب)

استراحة

كلمات متقاطعة 3409

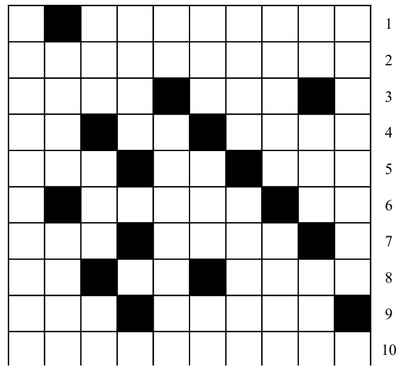

أفقيا

1- إمام عصره في اللغة والنحو والبيان والتفسير أشهر كتبه « الكشّاف » في تفسير القرآن – 2- وزير المستنصر الفاطمي وطد أركان الدولة وشيّد باب زويلة بالقاهرة – 3- شركة نفط عالمية – بيت الطائر – 4- جبل في المملكة العربية السعودية – من الحبوب – قادم – 5- من الطيور – عاصفة بحرية – من مشتقات الحليب – 6- من الحيوانات – آلة موسيقية – 7- جزيرة يونانية في المتوسط – ولد أنثى – 8- رفيق الشراب – بحر – للنداء – 9- ماركة سيارات – إلهام ربّاني – 10- منتج ومخرج مسرحي وسينمائي أميركي راحل من أصل يوناني حائز على جائزة أوسكار كأفضل مخرج عام 1999

عمودياً

1- وزير أندلسي شاعر وأديب – 2- خاصم اشتدّ الخصومة – ضد يابس من الأعشاب – يجري في عروقي – 3- من الحيوانات – من حرفته الكيل – 4- جوهرة من أعظم الأحجار الكريمة قيمة – من الألوان بين الأحمر والبنفسجي – 5- فراغ المكان – آلة موسيقية – نعم بالروسية – 6- جرح وكسر رأسه – ماركة سيارات – 7- من الفاكهة تُعتبر مقوية للمناعة ومحطمة للأمراض – 8- ماركة غالات ومفاتيح عالمية – ناحية وجهة – من الطيور – 9- ريق الفم – كتلة جبلية في سلسلة لبنان الغربيّة تُشرف على جزين – 10- دولة أوروبية

حلول الشبكة السابقة

أفقيا

1- الكعبة النبّة – 2- لبما – جديد – 3- برازيليا – 4- شلف – نحول – 5- درّة – عكا – صك – 6- و و – ملك – جفت – 7- ننجو – كاب – 8- يس – الكسليك – 9- ايطو – في – 10- فرانز شوبرت

عمودياً

1- البردوني – 2- لير – رونسار – 3- كمّاشة – يا – 4- بازل – مواطن – 5- بفعل – لوز – 6- أجَل – ك ك ك – 7- لدينا – اسكو – 8- نياح – جبل – 9- يد – وصف – يفرّ – 10- الكتاكيت

3409 sudoku

	2	4	5	3		9		
	9		4	1				3
	1			7	6			
	7	2						
	5	9				4	6	
						3	2	
			7	8				6
2	3			5	9			
	6	1		4	3	8	5	

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

حل الشبكة 3408

8	6	2	3	9	1	7	4	5
7	4	5	6	2	8	9	1	3
9	3	1	7	4	5	6	2	8
1	2	3	5	6	9	8	7	4
6	7	4	8	1	3	5	9	2
5	8	9	2	7	4	1	3	6
4	1	8	9	5	2	3	6	7
3	9	7	4	8	6	2	5	1
2	5	6	1	3	7	4	8	9

مشاهير 3409

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

روائي وقاص برازيلي تتميز رواياته بمعنى روحي أشهرها «الخيميائي» وقد تمّت ترجمتها الى 67 لغة ووصلت مبيعاتها الى 150 مليون نسخة في جميع أنحاء العالم

2+4+3+6+8+9 = الكفيل ■ 1+10+5 = مقدّم البيت ■ 3+5+7+11 = أحرف متشابهة

إعداد نعوم مسعود

حل الشبكة الماضية: **كمال الطيبي**

وفيات

انتقلت إلى رحمة الله تعالى
المرحومة الحاجّة زمزم علي عاصي (أم كامل خشّاب)
زوجة الحاج كمال خشّاب
والدتها: المرحومة الحاجّة مريم خشّاب
أبناؤها: كامل (في فرنسا)، أسامة (مستشار لدى رئاسة الجمهورية) وسامر (فرنسبنك)
ابنتاها: فاطمة، ورنا (فرنسبنك)
صهرها: المهندس عبد الله إبراهيم
إخوتها: محمود، محمد، أحمد، والمهندس مصطفى عاصي
أخواتها: رقيّة، سميّة، عليّة ووفاء عاصي
يُصلّى على جثمانها الطاهر بعد صلاة ظهر اليوم الجمعة 20 آذار 2020
وتُوارى الثرى في جبّانة بلدتها شحور
بسبب الظروف الراهنة، يُحدّد موعد تقبّل التعازي لاحقاً

لإعلاناتكم الرسمية والمبوبة والوفيات
الأخبار
هاتف: 759555 ـ 01
فاكس: 759597 ـ 01

الأخبار
al-akhbar
السبت 21 آذار 2020 العدد 4011

صورة وخبر

لن يحظى أكراد لبنان اليوم بفرصة الاحتفال بعيد النوروز في الهواء الطلق كما اعتادوا منذ عقود. الحجر المنزلي الذي فرضه قرار الحكومة بالتعبئة العامة الصحية، سيغيّب طقوس الرقص والأناشيد وزينة الألوان المبهجة عن شاطئ بيروت والأحياء التي يتمركز فيها هؤلاء، احتفالاً برأس السنة الجديدة الفارسية وبداية فصل الربيع وذكرى انتصار الحداد كاوا على الملك الفارسي الظالم أزديهاك، بحسب التراث الكردي. العيد القومي الأهم سيُستبدل باحتفالات فردية داخل البيوت بتطبيق الطقوس الممكنة، منها تحضير الأكلات التراثية كالـ «شامبوريك» و«كوتلك». (علي حشيشو ــ منطقة راوندز على الحدود بين أربيل العراقية وإيران)

منوعات

كورونا: مبادرات فردية لتوعية ذوي الاحتياجات الخاصة

آمال خليك

عبر فايسبوك، تبثّ زينب كوثراني فيديوات مخصّصة لذوي الاحتياجات الخاصة للتعريف بفيروس كورونا وأعراضه وسبل الوقاية منه. الصبية العاملة في مجال التربية المختصة، بادرت لدعم تلك الفئة المهمشة التي زادت عزلتها في زمن الوباء. بعد إقفال المدارس والجمعيات ومراكز التعليم المتخصّصة، قبع ذوو الاحتياجات الخاصة في منازلهم، معتمدين على جهود عائلاتهم في التعويض عن الأنشطة والتدريبات التي كانوا يحظون بها في مدارسهم. ولأنّه ليس باستطاعة كل الأهل ملء الفراغ، حجزت كوثراني مساحة لها ضمن حملة «معاً ضد الكورونا»، لبث مواد مصوّرة تخاطب فيها الصم بلغة الإشارة وتشرح لهم عن المرض وأعراضه والوقاية منه وطرق التعقيم والنظافة الشخصية.

وعرضت أدوات تعليمية للأهل لتطبيقها مع أولادهم. «المبادرات الفردية سبقت الدولة والجمعيات الكبرى التي تحصل منها على المليارات سنوياً باسم المعوقين. الإحاطة بتلك الفئة ليست أمراً تفصيلياً»، تؤكد كوثراني. وتضيف: «انقطاع ذوي الاحتياجات الخاصة عن الروتين الذي كانوا معتادين عليه في المدارس والجمعيات أصعب بكثير من انقطاع التلامذة عن المدارس. الاحتمال كبير جداً بأن ينسوا كل ما تعلّموه سابقاً وأن تتراجع حالتهم الجسدية والنفسية في حال لم تواصل مؤسساتهم مباشرة أو عبر الأهل مواكبتهم. شكّلت زينب وعدد من زملائها مجموعة تقوم بزيارات ميدانية لحالات لا تستطيع الولوج إلى السوشال ميديا، لتدريبهم على النطق والحركة والعلاج الانشغالي. واليوم، باتت فيديوات كوثراني وسواها مادة مطلوبة من قِبل بعض الجمعيات المتخصصة والأهالي.

سينتيا ومايك: #حفلة_بالبيجاما

في ظل التزام الحجر المنزلي في محاولة للحد من انتشار فيروس كورونا المستجدّ، وفي إطار المبادرات الفنية المختلفة حول العالم، دعت الفنانة اللبنانية سينتيا كرم (1980 ـ الصورة) متابعيها على مواقع التواصل الاجتماعي إلى حضور حفلة افتراضية، في 25 آذار (مارس) الحالي، في تمام الساعة التاسعة والربع مساءً، مباشرة على إنستغرام. كرم لن تكون بمفردها، إذ سيشاركها السهرة مواطنها مايك ماسي (1982) الغناء. واستخدمت سينتيا للإعلان عن النشاط هاشتاغَيْ #حفلة_بالبيجاما و #PyjamaDuets. ومن المتوقع أن يشمل البرنامج أعمالاً عربية وأجنبية، من دون أن يخلو الأمر من اقتراحات المتابعين.

علاء ميناوي في انتظار «نهاية»... ما!

Waiting for it to End هو عنوان التجهيز الجديد الذي أنجزه الفنان البصري الفلسطيني علاء ميناوي (1982)، وكُشف عنه النقاب في آذار (مارس) الحالي في منطقة بيسبوس في مقاطعة برابانت الهولندية، كجزء من ستة مشاريع فنية في البلاد تهدف إلى إحياء الذكرى الخامسة والسبعين لانتهاء الحرب العالمية الثانية تحت عنوان Brabant Remembers. العمل المصنوع من الفولاذ قبل زمن الوباء، يمثّل شخصين يقفان إلى جانب بعضهما، ينظران إلى الأفق فيما أحدهما يميل رأسه إلى كتف الآخر. كلاهما ينتظران انتهاء الحرب. خلال هذه الفترة، تلاشت جميع تفاصيلهما، لتبدأ النباتات في النمو عليهما، لكنّهما لا يزالان ينتظران النهاية.

في تعريفه عن التجهيز، يقول ميناوي لـ«الأخبار» إنّه أثناء مرحلة الإعداد «كنت أفكّر في المواطنين العاديين الذين يلازمون منازلهم في أوقات القتال، فيما تمتلئ قلوبهم بالريبة، ولا يسعهم إلا الانتظار»، إلا أنّه في الوقت نفسه «ربطت بين هذا الموضوع وفكرة أنّ هناك في الأرض مَن لا يزالون في انتظار نهاية ما، خصوصاً في الهند وأفغانستان والشرق الأوسط وأفريقيا وشمال أفريقيا ...». ولعلّ أكثر ما يبثّ الفرح في نفس علاء ميناوي حالياً هو أنّ المشروع الذي كان يُفترض أن يكون مؤقتاً لغاية أيلول (سبتمبر) 2020، أصبح دائماً، في تجربة هي الأولى من نوعها بالنسبة له.

الأخبار
al-akhbar

كلمات

ملحق
أسبوعي

www.al-akhbar.com

السبت 21 آذار 2020
العدد 4011 السنة الرابعة عشرة
Samedi 21 Mars 2019 no 4011 14ème année

«أحرثُ هذا العالم الضروري
بمِخْلب الحلم
وأنتهي على أطرافه العظْميّة» *

*من قصيدة «عويل ذرّة الرمل» للشاعر العراقي سركون بولص (من ديوان «عاصمة آدم» – 2018)

«هنا شقة الإنسان» للإيطالي سلفاتور روسا (زيت على كانفاس ـ 197,4 × 131,5 سنتم ـ 1656)

زمن الأوبئة

«اعيش محاطاً بكل هؤلاء الذين جعلوني وحيداً». جملة للشاعر اللبناني عباس بيضون تختصر الكثير. فكما كان الحكمة ضالّة المؤمن، تبدو العزلة كأنها مقصد الشعراء والمبدعين. ولهم فيها احوال كاحوال الصوفيين مع العشق. كأن أهل العزلة في الفن والادب قد ابتدعوا طقوس «الحَجر الإبداعي» قبل «الحَجر الصحي» الذي يفرضه فيروس كورونا على الكوكب بأسره ويشلّ قارّات بأكملها من المطارات إلى المتاجر والمدارس والجامعات وصولاً إلى دور العبادة والملاهي والمسارح ودور السينما. كيف يعيش هؤلاء المبدعون عزلتهم «الكونية»؟ وكيف تتحول هذه العزلة إلى «غرفة سوداء» على قول مارغريت دوراس، أي إلى مختبر يحوّلون فيه العناصر الأولية التي تجول في حواسّهم ومشاعرهم وعقولهم إلى لغة الشعر والرواية والأدب؟ لقد كتب بورخيس مثلاً نصاً حول ما تشتمل عليه العزلة من الخيمياء او تحويل العناصر: «كم من عزلة في هذا الذهب/ قمر الليالي ليس القمر عينه/ الذي شاهده ادم الاول/ فقد ملأته قرون السهر الإنساني الطويلة/ بنحيب قديم/ انظري فيه. فهو مراتك». حول العزلة في مفهومها الإبداعي وطقوسها وتجاربها واحوالها وصولاً إلى رؤيتهم للمرض والوهن البشريين والعزل الذي يفرضه والوباء وما يرتبط فيه من حذر وريبة وشكّ. استطلعنا في «كلمات» كوكبة من اهل الشعر والرواية ممن شقّوا الناستار النافذة قليلاً لننظر في اقاصي عزلتهم التي بدونها هم كالمُدمن يبحث عن سيجارة

إعداد وتنسيق **محمد ناصر الدين**

مبدعون في العزلة الـ «كورونيّة»
لو يصمت العالم... قليلاً!

محمد علي شمس الدين *

هذه التجربة جديدة في العزلة. سبق ومارست عزلات كثيرة قبلها. وكان تجنّب الخليقة في ذروتها. لكن هذه العزلة الآن في شهر آذار (مارس) هي عزلة الكورونا. وهي أمر آخر، حيث تتداخل شتى المشاعر والأفكار وتشتعل الأسئلة: هل رأس الطبيعة الممتلئ بالبلايل والقبّرات يمتلئ الآن بالقمل والخفافيش هو سببها، أم أنّ سببها هو وجه دونالد ترامب الخفاش القاتل؟ إنّ رؤوس سادة العنف ورأس المال المفترس والجرائم المنظمة المتعددة الطبقات والأطراف والأسماء في العالم أورثونا القهر والخوف وكره الجَمال، وكشفوا لنا عن الوجه الآخر للعناصر، عن كاريكاتور الكائن. البحر مثلاً ليس ذاك الدنى المتماوج للسفر والإبحار واكتشاف المجهول، بل هو حركة الموت والسفن الغريقة والبحّارة المفقودين. العصافير ذات الريش الملوّن والزقزقات المرحة تنقل لنا بمناقيرها القاتلة نقرات الموت. القبلة من الفم الريان للحبيب قد تحمل السمّ والسعال. جميع من نحبّ هم على قاب قوسين من الريبة. الحياة بذاتها هبة ملغومة وكل متعة من متعها هي بطعنة من الخلف. ما تثيره هذه العزلة القهرية في نفسي هي أحاسيس وأفكار تمتد على قوس ينحني بين العرش والطاعون. ذاك أنها معالم حرب كونية ثالثة نخوضها بلا رحمة ولا اختيار وبجانب من العبثية في الوجود هي أقسى من أن يكتفي العقل بميزانها والوجدان البشري بقول الأشعار والمراثي. أولاً ومن الأعلى: هل فيروس «كوفيد 19» المتربّص بكل كائن بشري على وجه الأرض صنعته الطبيعة من أخلاطها وخفافيشها وقذاراتها الكثيرة وقذفت به في وجوه الناس جميعاً، متحدية وجودهم بالذات وعقولهم ومختبراتهم وعلماءهم وأساطيلهم ومسابارهم وعنجهيتهم العلمية، وبالتالي ستكون طبيعة خرقاء، وأجمل ما تقدمه مقرف وأعلى ما تعطيه وهو الحياة مشبوه كجائزة قذرة؟ أم أنّ من صنع هذا الكائن المنتهي في الصغر والقذارة والعدوانية هم من صنعوا ويصنعون الحروب والاغتيالات والقهر على الكرة الارضية. وهم أنفسهم الذين صنعوا القنبلة الذرية في نهاية الحرب العالمية الثانية ليقتلوا بها ملايين النفوس البريئة وبلا ندم وليرفعوا شارة النصر فوق قبر العالم. من صنع الجرثومة القاتلة؟ يلوح لي شبح للصهيونية من بعيد ووجه خفاش عجوز اسمه ترامب. السؤال الثاني: كيف نقاوم؟ والجواب في المختبر وبالعلم. من الأساس، كانت لديّ قناعة راسخة بأن الحق أو الدم الحرام أو الضحايا أو الشهداء وجميع المضطهدين والمهدورين والمسفوحين في التاريخ بمناحاتهم وأشعارهم وقيمهم لا يسمعها أحد من دون قوة. ولعلني أشرت في قصيدة «الغيوم التي في الضواحي» إثر حرب تموز 2006 إلى هذه المسألة بقولي: «في شهر تموز من عام جرح والذَيْن بعد المسيح / وخمسين مجزرة في القرى في طريق الإمام الذبيح/ سجّلوا في دفاترهم ما يلي: لقد أزف الوقت وانتصر كربلاء/ مثلما شاءها الآقوياء». السؤال الآخر وجودي ميتافيزيقي، فالكورونا مهما كان وصفها ومصدرها سبب من أسباب الموت. وهنا فإن رؤيتي للتاريخ كله هي على أنه فراغ ممتلئ وأن الموت هو النار التي عليها تغلي قِدر الحياة، لذلك فبين العدم والرجاء، نحن ملزمون بأن نملأ فجوة الوجود. نحن ملزمون بالحياة إزاءنا بالموت، ونحن لو دقّقنا قليلاً وفتحنا قلب الوردة لوجدنا الخفاش قابعاً في قلبها.

* شاعر لبناني

عالية ممدوح *

أريد أن يجدني جالسة ومسترخية بدون غضب ولا بغض فيما لو حضر. سمعت نفسي تنتحب بدون صوت، لكن بعد لحظات كان النشيج قد بدأ يتصاعد بالتدريج، فقهرت صوتي لكي لا يصل إلى الطوابق العليا من العمارة التي أشغلها منذ عقود في الحي الخامس عشر في باريس، هنا في هذه العاصمة، عليك أن تقيم حدوداً بينك وبين الدموع المباحة. لا بأس عيناك ممتلئتان مترعتان وهما ماضيتان في اللاتوقف. شعرت أن على الحزن والانتحاب أن يبقيا بين شقوق الجدران مثل نمل سُره. على الأحزان أن ترتدي أحذية رياضية لكي لا تثير الجلبة. ما هذا الجو الذلّ؟ ها هي السيدة المريضة جالسة تكتب، ليس وصايا للمحبوب، تكتب كما لو كانت تريد إطلاق النار على أفعال الصراخ فيما لو ارتفع قليلاً عن المألوف بسبب الرضى، مرضي. كنت أذهب إلى الجانب الآخر من العالم، بلدي العراق ونحن نغرف من حوض لم يتوقف يوماً عن الامتلاء بالدموع، وكنا نستمتع بحرية تامة في بسط أكفّنا وأذرعنا ونحن نمسح أو نلتقط دموع أهلنا وإخوتنا. كانت لدينا الأوقات كلها لكي نضفي وظيفة مدعمة بجميع السلالات التي مررنا بها. الدموع هي التشبّث بحرمة البيوت والمساكن التي حافظنا عليها من عوادي الاندثار فمهرت بالشخصية والثقافة والإرث العراقي. هناك لا أحد يبكي بمفرده فيحضرون لكي يكتفي الانتحاب هو قول الحقيقة.

عشت تحت مظلّة احتضار بدأ يتضاعف وأنا أريد أن يكون صوتي مرتفعاً في إعلان ذلك وأمام حالي، أضعه في عنقي وأربطه بظلفة الشباك الذي تفتحته إلى الأخير، وأنا أنتظر ختام النزهة. على السيدة التي ستموت وهي مقطوعة الأنفاس والأصوات أن تبدو رابطة الجأش، لا يجوز أن تكون القوانين الفرنسية بهذه القسوة فيما لو صرخت عالياً، هكذا تراءى الأمر لي. حسناً، أريد أن أنادي على ابني بالدموع، أغمره بصوتي المبحوح العليل. كان لديّ اسطول تام من عدة الألم، وما عليّ إلا أن أجد مكاناً له في هذه اليوميات (مقطع من «كتاب النقص» المعد للنشر).

* روائية عراقية

رنا التونسي *

لا أريد أن أفكر في دنياي لأني أدرك وقتها أن الذين أحبهم بحق لن يمكنني عندها رؤيتهم. كنت دوماً أردد عبارة فلسفية درستها منذ زمن ولا أتذكر قائلها «لماذا أخاف الموت فعندما يجيء الموت، سأكون قد مت». ظلت هذه فلسفتي في الحياة على مدار سنوات ومهما ارتعبت وانقلبت. كنت أقابل الدنيا دوماً بقلب مفتوح وأشعر أنني في مغامرة من الممكن أن تكلفني حياتي، لكن المهم أن أخبر نفسي في السرّ أنني قد عشت. ثم يحدث أن نولد فجأة مع ولادة أبنائنا، ونجد أننا نتحول إلى حب الحياة أو ليس حب الحياة بقدر ما هو التمسك والتشبث بها. أريد أن أعيش حتى أرعاك. إذا لم أتمكن من الحضور، على الأقل سنعرف أني أردت دوماً أن أرعاك وأثق بك يا صديقي، كتب ريلكه «أريد ممن يحبني أن يحترم عزلتي». لكنه أيضاً كَتب «ليس هناك شعور واحد ثابت، تعلم أن تحتضن الجمال كما الرعب». بينما كتب هرمان هسه عن رغبته في أن تأتي روحه في مائة شكل، أن يحلم أنه من القساوسة والمتجوّلين، الطهاة والقتلة، الأطفال والحيوانات، وأكثر من أي شيء آخر العصافير والأشجار، وأنه فقط من خلال هذه الصور سيمكنه فعلاً الوجود. في الحقيقة كشاعرة، أحب الأرواح الهشّة التي تتكسّر دوماً من رغبتها في الحياة، كتب أمل دنقل عن العالم والشعب، لكن أفضل دواوينه كان «الغرفة رقم 8»، وهو يواجه الموت وحده ليولد من جديد. كيف يواجه الشاعر الوباء والمرض، ربما لا أقدر على مواجهته. لذلك ألجأ إلى الإيمان والدعاء أحياناً لأطمئن على الآخرين، لكي ينجوا كي أنجو معهم. تصبح المأساة والألم والمرض والخوف إنسانياً أكثر منها حالة شعرية.

* شاعرة مصرية

> منذ أيام يتردّد في ذهني بيت المعرّي عن شوق الأرض إلى الطوفان (هدى فخر الدين)

هدى فخر الدين *

أقفرت المدينة والجامعة، همد الحيّ، هدأت جلبة الأوقات الممسوسة. الوقت العام مكتظّ بالأخبار العاجلة والأرقام المتصاعدة والتدابير والتنكهات. أما الوقت الخاص، فقد خلا فجأة من صخب الآخرين. وها نحن نعيد اكتشاف فضاءاتنا الداخلية: زوايا الخزائن التي أهمل ترتيبها، الرفوف العليا التي تكدّس الغبار على كتبها، مخاوف دفينة أجّلت مواجهتها. ومنذ أيام يتردّد في ذهني بيت المعري عن شوق الأرض إلى الطوفان. أظنه كثكثير من كلام المعري يواجهنا بحقائق صعبة لا مراوغة فيها. يتردد في ذهني وأراني أجد فيه شيئاً من العزاء، ربما لأنه يكشف عن داء يعتري البعض منا. هذا الداء، هو الرغبة العارمة في قول شيء، خاصة حين يُطلق الدهر. كما هو الحال في هذه الأيام. هي رغبة عارمة في مواجهة الزمان حين يجمح، باللغة، بكلمة أو جملة تلمّ الوجود وتلجمه في نظم ما:

«والأرض للطوفان مشتاقةٌ لعلّها من درن تغسلُ»

إذاً هذه ليست عزلة بل صحبة أفضل. فجأةً أسمع فيها الأصوات الحاضرة دوماً، تلك التي يطمسها ضجيج الزمن الرخو، آنس فيها إلى رفقة مَن وجدوا في اللغة، في هذه المعجزة الدبّرة، سكناً وأمناً من حوادث الدهر. واليوم مثلاً أصحب ريلكه الذي ينتصر على القلق الوجودي الجارف حين يمسك به في قصيدة، فيقول:

«لا الإنسان ولا الملاك/ بل وحده الحيوان/ هو الذي يعي بفطرته/ كم نحن قلقون وغرباء/ في عالمنا المترجم هذا».

الشعراء في بحث دائم عن عزلة يؤلفونها ويرسمون حدودها كما يرسمون حدود النص. إلا أن عزلة الشاعر عزلة يختارها لنفسه حين يحتشد الآخرون، أما هذه التي نحن فيها الآن، هذه العزلة الجماعية المفروضة، هذه ليست عزلة للكتابة، فعلّها إذاً تكون عزلة للقراءة، عزلة الصحبة الأفضل

* شاعرة لبنانية

«تحليق السحرة» لغويا (زيت على كانفاس ـ 30,5×43,5 سنتم ـ 1797-1798)

سوزان علي *

من الذي مشى نحو الآخر؟
الضعف الطويل يستفرد بماضيه، يجعل من التنهّدات موسيقى، ثم يمارس الجنس باكياً.
كم عمر العزلة في قلبي؟ هل أكون جدّتها؟
الخوف يستطيع الإنجاب.

في طفولتي كنت أحب النوم تحت السرير، في مراهقتي أحببت مقهى لا نرى منه سوى أحذية وخطوات المارة، في عزلتي تزوّجت إدوارد هوبر. علمت في ما بعد أن العزلة انقذتني من الوحدة التي كادت أن تخنقني، وكان أول أعراضها التلعثم والخَجل والهروب. أرقب شجرة السرو من شرفتي كل يوم في الساعة الرابعة عصراً، حيث الشمس تبدأ في التحضير لغروبها ونثر كل ما جمعته خلال يومها بين أغصان الشجر، كالماضي. في يوم خريفي، يبدو فيه الضوء كمتسوّل مقعد، موت وحياة في الشجر والطريق والوجوه، رحيل ونسيان في آن معاً، كنت على موعد مع معالج نفسي، وكانت جلستي الأولى. حفظت العنوان وتمنيت أن أشفى وأنسى عنوان بيتي، مضيناً سوية أنا وشوبان والرف الخشبي في الزاوية وشرفتي المطلة على كنيسة وفرن. مضينا وقررنا ألا نعود إلى البيت، كل أوانيّ العزلة خرجت ورائي، حتى إنني لمحتها في كل مكان أو تفصيل رأيته من شباك سيارة الأجرة. رأيت الكرسي الخشبي على باب مقهى، رأيت سبحة أمي تتدلى من مرآة السائق، سمعت صوت صرير باب غرفة النوم يخرج من عربة بائع جوّال. كل من مسّته الجدران في قلبه سيرى هذه المشاهد التي أكتبها. لم يفهم المعالج سبب زيارتي له، ولم أصغ لنصائحه جيداً، كانت في غرفته نافذة كبيرة تطل على ملعب لكرة القدم، مجموعة من الصبية راحوا يركضون خلف الكرة ويتشاجرون ثم يشتم بعضهم بعضاً ويضحكون، العشب أخضر وندي، والحمام كان يهدل فوقهم، عند السور الحديدي وقف رجل طويل القامة يرتدي ثياباً سوداء، كان يرقب الصبية بحماس وجدية، يشبهني ربما، يهرب من أوانيّ عزلته بحماقة، الفرق الوحيد بيننا مجرد سؤال صغير: كيف تربي عزلتك من دون أن تصير أمها؟ ولأنني فشلت وصرت بيتاً وأماً ومدفأة، جئت إلى عيادة معالج نفسي، بينما ذهب الرجل إلى ملعب كرة القدم.

* شاعرة سورية

> مَن منا لا يتذكر اليوم كتاب اللعبي الرائد: «قصائد تحت الكمامة»؟ (عبد الهادي السعيد)

فيديل سبيتي *

في ما يخص ضرورة العزلة لكتابة الشعر، أستخدم مقولة محمود درويش «العزلة مصفاةٌ لا مرآة»، فنحن حين نعتزل لكتابة الشعر أو لخلق أي عمل فني من أي نوع كان، لا يكون الهدف التعرّف إلى ذواتنا كما يعتقد كثيرون، بل هو تصفية ما علق في داخلنا من جرّاء الاختلاط. فالشاعر في عزلته ينزع عن نفسه «الماسك» الاجتماعي، ذاك الذي يتطلبه الاندماج والتواطؤ مع الجماعة. لذا، نعم كتابة القصيدة تحتاج إلى العزلة، وهذا لا يعني انتظار نزول الوحي على الشاعر، بل الدخول إلى خبايا، وفتح تلك الخبايا التي يقفل عليها خلال تعامل الآخرين معه على أنه ملكية عامة. ويؤكد نيتشه، منظّر العزلة، هذه الفكرة بقوله: «إن العزلة ضرورية لاتساع الذات وامتلائها، فالعزلة تشفي أدواء النفس وتشذّ عزائمها». ولا حاجة إلى التعليق على قول نيتشه، فهو واضح لناحية قدرة العزلة على تحقيق الاندفاعة الخلّاقة لأي مفكّر أو مبدع فنان.

بخصوص العزلة التي فرضها وباء الكورونا، فلم تغيّر شيئاً في سير يومياتي، إذ كنت قد اخترت عزلتي منذ ما قبل ظهور الكورونا بمدة طويلة، فعدت إلى الطبيعة والأرض في القرية، حيث يمكنني أن أكون على تماس مباشر مع أبطال قصيدتي من أشجار وأزهار وحشرات وتراب الأرض وأناس طيبين لم تفسدهم عقلية المدينة النفعية. لذا فالعزلة مكتملة مع الكورونا أو بدونه. لكن الأمر الإيجابي في العزلة «الكورونيّة» المفروضة على البشر أجمعين، يختصرها بدلاً مني وديع سعادة بقوله: «لو يصمت العالم الضاجّ، قليلاً. ماذا يحدث لو صمت العالم؟ لو اختفى ضجيج البشر لحظة؟ أما كانت الأرض تستعيد بعض فتوّتها، بعض صحتها؟».

لو كان سؤال الشاعر موجهاً إليّ، فسأجيب. بلى أيها العزيز ستستعيد الأرض فتوّتها وصحتها... إنها أمنا الطبيعة تُجري عملية تنظيف ذاتي ضروري.

* شاعر لبناني

عبد الهادي السعيد *

الشعر أرض غابوية، هو بلاد الصمت داخل اللغة، من العزلة يجيء وإليها مردّه. لكن طريقه تخترق بالضرورة مجال المشترك البشري، بل تتخذ وتبني من ذلك المشترك معالمها الكبرى. الشعر نداء التحام وجواب على ذلك النداء، ما بين الذات المتفردة للشاعر، وبين ما هو عام ومشاع. إنه مخاطبةٌ للإنساني المشترك واحتفال به وتخليد له، بأدوات خاصة وبرؤية غير مسبوقة. وهكذا فالشعراء لا يسعون إلى شيء بقدر ما يسعون إلى العزلة، ولا يهابون شيئاً بقدر ما يهابونها. على الدوام يطلبونها، يبحثون عنها، ينزعجون ممن يصادرهم إياها، وعلى الدوام ترهق أرواحهم وتثقل كواهلهم، فتراهم مستعدين للمساومة عليها عبر توافقات وتكتيكات اجتماعية معقّدة لا يفهم ميكانيزماتها أحد ولا حتى هم. لكن عزلة اليوم ليست كعزلة الأمس: هل أفسدت التكنولوجيا عزلة الشعراء؟ أمحتها أم عمّقتها أم غيّرت جذرياً من خصائصها؟ أي معنى للعزلة وسط 5000 صديق إلكتروني؟ ثم كيف يَحُل الشاعر مفارقة الواقعي/ الافتراضي، ولا سيما في علاقته بقرّائه: ففي العالم القديم، عالم الكتب والمطبوعات، كان القارئ مجهولاً، بلا هوية، كان افتراضياً. اليوم، في العالم الافتراضي، صار للقارئ بروفايل وبلد إقامة ومعلومات شخصية محددة. في العالم الافتراضي، صار القارئ من لحم ودم. أمّا الوباء، التاجيّ العالمي، فقد ألزم الجميع بالمكوث في البيت، شعراء وغير شعراء. صعب في بداية هذه المحنة الطويلة الأمد تقييمُ تبعاتها النفسية والاجتماعية والتنبؤ بتأثيراتها على المبدعين بخاصة. لكن المؤكد أنه إن كانت عزلة الشعر اختيارية في معظم الحالات، فعزلة الكورونا على النقيض أشبه بتجربة السجن أو الاعتقال. لكن، من يدري، ألم تُكتبْ روائعُ داخل السجون؟ ومن منا لا يتذكر اليوم كتاب عبد اللطيف اللعبي الرائد: «قصائد تحت الكمامة»؟

* شاعر مغربي

دارين حوماني *

«بينما يمضون صامتين/ في رؤية الأشياء/ من مكان أعزل/ أياديهم تصير أوراقاً/ لأشجار خالدة». لا أدري إذا كانت هذه الكلمات التي كتبتها ذات يوم تعبّر عن حاجة الشاعر إلى العزلة ليكتب، العزلة هي مدخل الشاعر إلى شعره، يمضي الكتّاب في عزلتهم وفي المكان الأعمق سيجدون الكلمات، الكلمات التي لا تنبت وسط الفوضى والضجيج، ثمة مسّ لرؤية الأشياء من مكان آخر من الزمن حيث يبتعد الكاتب فيبصغي إلى نفسه ويعزف مغمض العينين ويهب العالم أعمق ما لديه. هل العزلة هي المغارة السحرية للكاتب؟ يُجمع معظم الأدباء على أن الكاتب يحتاج إلى العزلة ليكتب. يرى غوته أن العزلة تصقل الموهبة ويجدها نيتشه ضرورية لاتساع الذات وامتلائها، لكن هل يمكن أن يبدع الكاتب إذا لم يكن منعزلاً عن الآخرين؟ هناك كتّاب يكتبون في المقهى وفي الباص وفي الحديقة العامة، في أماكن يستنطقها الضجيج والهذيان الجماعي، لكن أولئك الذين يكتبون هناك لهم وحدتهم الخاصة، عزلتهم الامكانية والروحية، هم منعزلون أيضاً. ثمة فرق بين الوحدة والعزلة، قد نكون وحيدين وسط الضجيج وقد نكون بين الجميع في عزلتنا. أعتقد أن الأدب يبدأ من العزلة، أن نركن الحياة والآخرين جانباً وننظر إليهم من ثقوب صغناها بأنفسنا لنأى عن ضجيج العالم، هو المكان المغلق الذي يمنحك تلك الرؤية العميقة تجاه الوجود واللاوجود. في زمن الكورونا والأمراض المعدية، يصير للعزلة إطار مكاني يمنح الكاتب الإخلاص لعزلته، وهذا يحيله الى أن يكون مخلصاً لأدبه. هذا الزمن ستكون العزلة فيه واجباً لا خياراً، سيصير لها قلقٌ آخر، فالعزلة الاختيارية تمنح الكاتب هدوءاً ذاتياً يلتقط الكلمات والأشياء، فرحاً بالتقاطها. لكن الشاعر الحبيس داخل غرفته مجبراً على ذلك، سيتناول وحيه الشعري بيد مرتجفة. سيكون ذلك مصحوباً بالخوف والقلق حتى إنه لن يسمع بوضوح أصوات الكلمات التي ستستحيل وجوهاً مستعارة ملفوفة بأقنعة لا تريد أن تحدّق بك ولا حتى أن تخبرك شيئاً... لا يمكنني أن أكتب إلا في مكان أعزل، لكن ليس في عزلة قلقة، هو قلق من نوع آخر، كأن ننام على الأسرّة منتعلين أحذيتنا، فكيف نكتب وسط هذا القلق كله على أطفال العالم؟

* شاعرة لبنانية

عامر الطيب *

ثمة مقولة شهيرة لبلزاك «العزلة أمر جيد لكنك بحاجة إلى شخص لتخبره ذلك». يتخيل المرء لأول وهلة أن العزلة تتمثل بمكان عالٍ لا أحد هناك غير الشجر والنسيم والسماء، التي تبدو من الأسفل كسقف سجن هكذا كما يصفها الرحالةُ المتشائمون. لكنّ عزلة مثل تلك لم تعد متوفّرة حيث البيت رمز الأمان والانعزال والسكينة بات مهدداً بالتلفزيون والفايسبوك والواتساب، أخبار الموت والذعر والفشل والمرض تصل مباشرة... إنك تختلطُ مع العالم بأصابعك!

تلك الكارثة الهائلة تحولُ الإنسان إلى وحش مطمئن، إلى كائن متردد بين الجنوح إلى عزلة تامة وبين الفشل في تحقيقها، والشاعر أياً كان، لم يعد بمعزل عن ذلك، لا توجد أبراج عاجية مأهولة للسكن. أما مسألة الرغبة في الهدوء، والوحدة وإمكانية الابتعاد بين فترة وأخرى، فهذه ليست عزلة تامة، والشعراء يحققون ذلك منذ وقت طويل. شخصياً ثمة أوقات قليلة للمتعة واللعب مع أصدقاء، وأوقات أطول للفراغ، لكنه الفراغ الذي تستدعي به الكتب والشياطين والأوهام. ثمّ جاء هذا المرض الذي عزل الناس مجبرين، لم يفترض أن نتحدث عن المرض؟ كيف يمكن أن أنظر إلى المرض وأنا سليم لا أشكو من خلل ضئيل ولا أفكر به في السياق الحاضر؟ أتصوّر أن المرض مثل الموت هو مجال يجربه الآخرون الذين يواجهونه حتى مع كونه يشكل حرجاً لغوياً لم يعد الشاعر قادراً على الكتابة عن القبل والعناقات من دون أن يراوده الشك بأنه يكتب عن علاقات ناقلة للوباء والموت. من جهة ثانية، أعاد كورونا فتح الجدال البيزنطي بين العلم والدين، واشتعل تراشق الاتهامات، فهيما يتزعم التيار حملة لوم العلم على حداثته المفرطة التي كانت عاقبتها مزيداً من الخطايا والأمراض النفسية والعضوية وهي تثبت مرة أخرى قدرة الخالق على إهانة البشرية المتطوّرة بفيروس لا يمكنها رؤيته، ينهمك العلم بمعالجة الأزمة بعقلانية وحكمة. هي لحظة راهنة إذن يترقبها الشعراء، بإصغاء ومسؤولية متسولين آلهة العالم أياً كان اسمها لخلاصنا من هشاشتنا، من حيرتنا وخيالنا الشاحب:

يا إله العالم حاول أن تسامحنا هذه المرة على الأقل
يا أطباء العالم اتحدوا

* شاعر عراقي

زمن الأوبئة

السينما استشرفت الكارثة قبل حدوثها
«عدوى» مجنونة ستلتهم الكوكب!

لنقرأ هذا الحوار:
ـ تصرّ زوجتي على خلع ملابسي في المرآب، ومن ثم تضعها في وعاء ماء دافئ وبعض الصابون. ومن بعدها تعقّم كل شيء وتضيف المطهّر. اقصد هنا، انها تبالغ في رد الفعل، اليس كذلك؟
ـ ليس فعلاً. وكفّي عن وضع يدك على وجهك. هذا الحديث مألوف بالنسبة إلينا... اليس كذلك؟ وإذا اضفنا فقط مصطلح كورونا، يصبح هذا الحوار قائماً حالياً بين زوجين من دون الاكتراث إلى مكان سكنهما في هذا الكوكب «الموبوء». لكن هذا الحديث ورد ضمن مشهد في فيلم «عدوى» للمخرج الاميركي ستيفن سودربيرغ حول انتشار فيروس خطير بين الناس. ظاهرة تفشي الفيروسات ليست بجديدة في السينما، ولا وليدة «كوفيد_19». ما قدمته السينما منذ سنوات، يعيشه العالم باسره اليوم وبادق تفاصيله.

عديدة هي الافلام التي دارت حول هذا الموضوع، بعضها قدّم بطريقة واقعية جداً، بحيث اقنع المشاهد بخطر غير مرئي وغير ملموس اجبره على «تطهير» نفسه وغسل يديه بقلق، وتجنب الاحتكاك بالبشر والاشياء، ونبّهه من لمس الاوجه والاجساد. وعلى الرغم من ان هناك افلاماً عدة تحدثت عن الفيروسات، إلا انها حولت البشر إلى ما يشبه «الزومبي» مع تفشّي الوباء، وقليلة جداً هي تلك التي عرضت لهذا الخطر بطريقة واقعية ومجردة من السوريالية الشخصية. هنا، سوف نتحدث عن افلام تنبأت بانتشار فيروس عالمياً بشكل يشبه كورونا. كما سنذكر افلاماً أخرى قاربت الموضوع ذاته

شفيف طبارة

«عدوى» (Contagion 2011) ستيفن سودربيرغ

أول ما نراه هو شاشة سوداء. نسمع سعالاً جافاً. لحظة تحدث الف مرة في اليوم وفي صالات السينما المظلمة. ولهذا السبب، فبداية فيلم «عدوى» مقلقة، لأنه قبل أن نتمكن حتى من رؤية المشهد الأول، يجعلنا ستيفن سودربيرغ ندرك الفرضية الثقيلة للجائحة الذي يتكلم عنها: في الماضي، اليوم، غداً، ودائماً في كل مكان... فيروس ينتظر! صاحبة هذه السعلة هي بيث امهوف (غوينيث بالترو)، العائدة إلى الولايات المتحدة بعد رحلة عمل في هونغ كونغ. وصلت إلى منزل عائلتها، مريضة، نزلة برد حادة هي فرضية كبيرة. لكن عندما تظهر عليها أعراض مشابهة للسكتة الدماغية، يأخذها زوجها ميتش (مات ديمون) إلى المستشفى حيث تفارق الحياة. بعد ذلك بقليل، يموت ابنها الصغير كلارك أيضاً! أدى تشريح الجثة إلى اكتشاف أنّ فيروساً مجهولاً مسؤول عن وفاة الأم والابن. بينما يتم عزل ميتش بالقوة، فإنّ هاجس اكتشاف الفيروس يدفع المؤسسات والأفراد إلى التحرك في جميع أنحاء العالم. ترسل منظمة الصحة العالمية خبيرة الأوبئة ليونارا (ماريون كوتيّار) إلى هونغ كونغ للتعامل مع زيادة المرضى. هناك، تتبع خطوات بيث من أجل تحديد مصدر الفيروس. منذ الدقائق الأولى، نعلم أن الأوان

> استعان ستيفن سودربيرغ بخبراء في مجال علم الفيروسات والأمراض المعدية لجعل الفيلم واقعياً قدر الإمكان

قد فات. بطاقة بيث الائتمانية، وعاء المكسرات، الشاشات اللمسية، مقابض الأبواب، الصنابير، طاولة البار، أزرار المصعد، كل شيء يشير إلى تجمع الفيروس الذي ينتقل من يد إلى أخرى. النادل، الأصدقاء، المسافرون على الطائرة. تصبح الضحيتان، أربعاً، فاربعة عشر وفي النهاية 26 مليوناً! بيث هي المريضة رقم 0، وجميع البشر وشخصيات الفيلم هم فريسة الفيروس، كما هو الواقع الآن!
تكمن قوة الفيلم في كارثيته. يحاول بعضهم العثور على اللقاح من خلال البحث عن إجابات تتعلق بالفيروس. البعض الآخر يراقب الرأي العام. آخرون يحققون في مؤامرات، والجميع يشارك في معركة البقاء ذاتها. لا سلام. مسافات آمنة للكلام، السكان في البيوت، أقنعة للبشر، حالة طوارئ عالمية، مكاتب فارغة، شوارع مهجورة، محلات منهوبة، شائعات، معلومات خاطئة، ومدن بكاملها في حجر صحي، الصورة التي يقدّمها الفيلم عن آثار وباء عالمي مُخيفة وغير واقعة... أو واقعية؟!
الجميع متساوون قبل المرض: الخوف والبارانويا والشعور بالموت الوشيك والعديد من المشاعر الإنسانية الأخرى تُخرج أفضل وأسوأ ما في البشر. يظهر سودربيرغ تطور وانتقال الفيروس، وفي الوقت نفسه التطور الأخلاقي للعالم في تطور سردي موازٍ. في عالم متّصل بالشبكة العنكبوتية، من لديه أكبر عدد من المتابعين، ينشر المعلومات غير الدقيقة بطريقة أسرع، فتصبح مكافحة الفيروس معلوماتياً كمكافحته جسدياً. الفيلم لا يتعاطف كثيراً مع منظّري المؤامرة العبثية.
بواقعية تعاطفية، يقدم سودربيرغ فيلماً مثيراً بقدر ما هو تحليلي. هو ليس ساخراً لأنّ الفيروس يقتل بشكل تعسفي ويؤدي إلى دمار كبير. لكن طالما أن البشرية يقظة للمعاناة في العالم، فهي محصنة ضد الأسوأ. يظهر المخرج الأميركي مسار الجائحة بعين وثائقية هادئة. يدلنا على ما يمكن أن يحدث (أو ما يحدث بالفعل!) بالتفصيل. وهذا بالتحديد ما يميز «عدوى»، لأنّ المخرج والكاتب استعانا بخبراء في مجال علم الفيروسات والأمراض المعدية لجعل الفيلم واقعياً قدر الإمكان، ولنتعلم لماذا يجب أولاً تكاثر كميات كبيرة من الفيروس قبل صنع اللقاح. فيلم كارثي، يغذّيه الأدرينالين في السباق ضد الموت. على الرغم من كل الخيال الذي يسوده، إلا أن الفيلم يجتاحنا الآن... نحن لسنا بأمان!

مشهد من «عدوى» لستيفن سودربيرغ

مشهد من «تفشي» لولفغانغ بيترسن

«تفشي» (Outbreak 1995) ولفغانغ بيترس

قبل فترة طويلة من «عدوى»، تحديداً في عام 1995، حذّرنا فيلم ولفغانغ بيترسن من فيروس يضرب البشرية. على الرغم من تشابه القصة مع فيلم سودربيرغ، إلا أنّ «تفشي» أكثر هوليوودية، وعسكرية (جيش ومروحيات)، يظهر بوضوح مفهوم الخير والشر، بتأثيرات خاصة أقل، وفكاهية وحركية أكثر، وبمجموعة مهمة من الممثلين.
يقدم ولفغانغ الجائحة بفيلم «بلوكباستر»، أخذ من الجنون الذي سبّبته فيروسات مثل الإيبولا، لرسم سيناريو عن عدوى دمّرت مدينة مفقودة في أفريقيا، انتقلت بسهولة إلى مدينة جميلة ومعزولة في كاليفورنيا. بسرعة، يقدم ولفغانغ فيلمه في مواجهة الوباء المنتشر، ويجعلنا نتفاعل بالسرعة نفسها. يتغذى الشريط من الشكوك والمخاوف التي تولدها الجائحة: ما هو دور الجيش؟ إلى أي مدى يمكن اتخاذ تدابير متطرفة لتجنب العدوى؟ من عليه اتخاذ القرارات الأخيرة؟ هل التدابير الوقائية فعالة؟ مع دور غير متوقع لدستان هوفمان، ومورغان فريمان في دوره الأكثر غموضاً، يعتبر «تفشي» فيلماً كارثياً، والفيروس هو الزناد.
عام 1967، وقع حادث في قرية أفريقية. أصيب العديد من الأشخاص بفيروس مجهول، يؤدي إلى الوفاة بعد بضعة أيام. الجيش الأميركي المقيم هناك بقيادة الجنرال بيلي فورد (مورغان فريمان) واللواء دونالد ماكلينتوك (دونالد سذرلاند)، يقرر بتدمير القرية جواً لمنع انتشار الفيروس. بعد سنوات، تم الإبلاغ عن حالات مماثلة في قرية مجاورة: الآن العقيد سام دانيالز (داستون هوفمان) هو المكلف بالتحقيق. عندما ظهر المرض للمرة الأولى في الولايات المتحدة، اعتقد كثيرون أنها مصادفة، ولكن سرعان ما عُرف أنّ قرداً صغيراً مستورداً من أفريقيا نقل المرض. تحت حصار عسكري، يتم عزل المدينة. ليس لدانيالز وفريقه، الكثير من الوقت للعثور على ترياق، لكنهم يحتاجون إلى الحيوان المضيف الذي جُلب من أفريقيا. لا مجال للتأخر، فالفيروس ينتشر بسرعة، ولكن بيلي فورد وماكليتوك يعرفان عن فيروس «موتوبا» أكثر مما يودّان الاعتراف به.
«تفشّي» هو الفيلم النموذجي الذي تحبه أو تكرهه، إما لأنه يصعب تصديق الموضوع (ليس بعد اليوم) أو لأنه هوليوودي جداً في إنتاجه. يعالج كل المواضيع التي يقدمها بسرعة، لكن هذا لا يعني أنه لا يصدم ولا يسبّب الرهاب، على العكس، منذ بدء الفيلم، يتم التعامل مع الفيروس بطريقة غامضة تخيفنا، تجعل القشعريرة أمراً لا مفر منه، بفضل النص الذي يجذب المشاهد منذ الدقائق الأولى، والمخرج الذي يعرف كيفية خلق حالة من الذعر تبدأ مع المشاهد وتنتقل إلى كل شخصية في الفيلم وصولاً إلى الحجر الصحي المفروض على المدينة كلها. الفيلم صادم بطريقة تجعلنا نتمنى أن لا نجد أنفسنا في موقف مماثل، بفضل القصة المباشرة والنص الذكي والحوارات المقنعة واللحظات المثيرة للغاية.
ساعتان تقريباً، لا نستمتع فقط، بل تثيرنا أيضاً التفاصيل الصغيرة عن حياة علماء الفيروسات. «تفشّي» يعرف كيفية نقل المعرفة ضمن قصة مليئة بالإثارة. بفضل الممثلين، تتحول قصة بسيطة إلى فيلم يستحق المشاهدة... قصة خالدة (نواجه بعضها اليوم)، ترفيهية، مع نهاية سعيدة. فيلم هوليوودي من الدرجة الأولى، صنعه الماني.

مشهد من «28 يوماً» لداني بويل

«بعد 28 يوماً» 2002 (Days Later 28)
داني بويل

يبدو أن المخرج الإنكليزي داني بويل يعتقد أن عالمنا رهيب للعيش فيه. لذلك، فيلمه عن الفيروسات مختلف عن تلك التي قدمت سابقاً. ليس لدينا هنا وباء، أو عدوى أو تفشي فيروس نحاول مقاومته وإنقاذ البشرية منه. باختصار، البشرية انتهت هنا! في «بعد 28 يوماً»، وضع بويل نصب عينيه مجموعة من الناجين من فيروس حوّل سكان بريطانيا العظمى كلّها إلى زومبي. فيلم بويل مختلف عن الفيلمين السابقين. لا يهتم هذا الإنكليزي بالفيروسات ولا بكيفية القضاء عليها، بل بكيفية إعادة الحياة والنجاة والعيش في مدينة خالية.
تبدأ نهاية العالم في فيلم بويل، عندما يدخل ناشطون في حقوق الحيوانات لتحرير قرد في مختبر، متجاهلين التحذيرات حول ما يمكن أن يحدث لو فعلوا ذلك. بعد شهر تقريباً من الحدث، تصبح لندن صحراء، مدينة أشباح. في غضون 28 يوماً، رحل الجميع. الإحساس الغريب بالألم الذي تسببه هذه الفكرة، تجعلنا نفهم كم نحن بحاجة إلى الآخرين. بعد 28 يوماً، يستيقظ جيم (سيليان مورفي) من غيبوبة على سرير في مستشفى مهجور. يواجه لندن المقفرة، حيث يتربص الفيروس الذي حوّل الناس إلى غريزة قاتلة وعنيفة. سرعان ما يلتقي جيم ببضعة ناجين متجهين إلى مانشستر، حيث نقطة تفتيش للجيش قد تكون خلاصهم، لكن المفاجأة ستكون في انتظارهم.
يبدأ الفيلم بوتيرة متسارعة تسبّب القلق. يجلب داني بويل إبداعاً جميلاً وواقعياً، يشبه الوثائقيات، ما يعزز المصداقية ويمنح القصة مزيداً من العاطفة. وهذا بنفسه يثير شعوراً بالحزن الذي يجعلنا نفهم حاجتنا نحن البشر إلى بعضنا بعضاً. على عكس الأفلام الأخرى من هذا النوع، يبتعد الفيلم عن العدمية القاتلة، بل إنه في بعض الأحيان متفائل بطريقة مثيرة.
فيلموغرافيا غير منتظمة، بسبب طريقة التصوير بكاميرا رقمية (دوغما 95)، ما يجعل الفيلم أكثر سرعةً وواقعية، إذا صح القول (فلندن لم تهجر إلى الآن!). ليس لدى داني بويل مشكلة في صدمنا. هناك مشاهد عدة تفاجئنا، تولّد قدراً من التوتر، وفي الوقت نفسه تبني شخصيات تتمتع بالتفاؤل بمستقبل أجمل. داني بويل يهتم بالشخصيات وبالظروف أكثر من تطوير المعارك والحركة، فالأهم بالنسبة إليه هو الإنسان.
يعد «بعد 28 يوماً» فيلماً مظلماً، بموضوع مألوف لكنّ طريقة تنفيذه ليست كذلك. نص معطوف على أداء قوي ومخرج يعرف جيداً كيف يقدم ما يريد. النتيجة فيلم يجعلنا منخرطين فيه من البداية حتى النهاية.

> يعد «بعد 28 يوماً» فيلماً مظلماً، بموضوع مألوف لكنّ طريقة تنفيذه ليست كذلك

اقتراحات أخرى

- The Omega Man (1971) – Boris Sagal
- The Andromeda Strain (1971) – Robert Wise
- Monkeys (1995) – Terry Gilliam
  12 متوافر على نتفليكس
- 28 Weeks Later (2007) – Juan Carlos Fresnadillo
- Blindness (2008) – Fernando Meirelles
- Children of Men (2006) – Alfonso Cuarón
- The Cassandra Crossing (1976) –George P. Cosmatos
- World War Z (2013) – Marc Forster
- Train to Busan (2016) – Yeon Sang-ho

زمن الأوبئة

الكتابة ابنةُ الأزمة بامتياز. ولو أن الفنون التشكيلية كانت أبرع تصويراً الأفاعيل الأوبئة في الروح والجسد (رفاييل، رُوبنز، غويا، جيريكو)، مهما يكن، فإن الأدب كان شاهداً ومُمْلِهماً، على أوبئة اجتاحت البشرية وكادت أن تُفنيها، ماميز الكتابة، في هذا الجانب، وأعطاها تفوقاً على باقي الأشكال التعبيرية، أنها زاوجت بين الوصف العيادي (الإكلينيكي) لتآكل الجسد ووصف تآكل الروح، عبر التساؤل الفلسفي (الوجودي) والقِيَمي (الإثيقي) في نصوص تشابه الأمثولة السياسية، كما لدى البير كامو الذي يعطي نصّه طابعاً مزدوجاً يُسْقِطُ الحالة الواقعية للوباء الذي أصاب الجزائر بالطاعون الأسود للنازية الذي اجتاح أوروبا. تحضرنا هنا، حالياً، مسلكيات ترامب والسياسة الدولية الأميركية غير البعيدة عن هذه التماثلات القيامية مع الراهن، حيث يخوض البتاغون حرباً اقتصادية لا أخلاقية ضد الشعوب التي لا تتوافق سياسة حكامها مع الليبرالية المتوحشة التي أثبتت فشلها بنرجسيتها وفردانيتها الأنانية في المعالجة الضيقة لوباء كوفيد 19. تبقى هذه النصوص التي اخترناها، ها هنا، ممثلة، كنبوءة، لتغير منظومة القيم التي يشهدها العالم الآن، بما فيها من إقبال على الاستهلاك والتخزين وجشع المضاربين وصدأ الروح، في صراع جَدَلي بين غريزتي الموت والحياة، وإجواء تغيب عنها العقلانية، لتحل محلها تجارة الخوف والتخويف والعوالم القيامية.

ترجمة وتحرير **رشيد وحتي**

الأدب والأوبئة
الكتابة بِحِبْرِ الفَزَع

1. سوفوكليس:
أوديبُ ملكاً. القرن 5 ق.م.

— أوديب: المدينة بكاملها ملأى بخورٍ وتضرعات للإله أبولون الشافي [..]

— الكاهن: طيبةُ، في معمعان الموجة، لم تعد قادرةً على مواجهة الطوفان القاتل. الموت يضرب المدينة في البذرات حيث تَتَشَكَّلُ ثمار أرضها، الموت يضربها في قطعان أبقارها، في نسائها، اللواتي كُفِفْنَ عن تربية الحياة [..]

— الجوقة: يمكننا أن نرى الطبيبَيْن، واحداً بعد آخر، شبيهين بطيور مُجَنَّحَة، أسرع من النار الجموحة، يهرعون نحو ضفة النهر حيث يسود إله الغروب (هاديس، سيدُ الجحيم). المدينة تموت بهؤلاء الموتى بلا عدد. لا إشفاقَ على هؤلاء الأبناء، المُضْطَجِعينَ أرضاً: فهم بدورهم يحملون الموتَ بداخلهم، لا أحد ينتحب من أجلهم. الزوجات، الأمهات يشعرهن المشتعل شيباً، كلهن مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يهرعن نحو هياكل المعابد، متوسلاتٍ، مُنْتَحِبَاتٍ، باكياتٍ آلامَهن الفظيعة.

2. الفليوبي:
طاعونُ ملك. 1856

حُكِيَ أَنَّ هِشَامَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ صَعَدَ الْمِنْبَرَ بِدِمَشْقَ، وقال: يا أَهْلَ الشَّامِ، إِنَّ اللهَ قَدْ رَفَعَ عَنْكُمُ الطَّاعُونَ بِخِلَافَتِي فِيكُمْ. فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ وَقَالَ: إِنَّ اللهَ أَرْحَمُ بِنَا مِنْ أَنْ يَجْمَعَكَ وَالطَّاعُونَ عَلَيْنَا!

3. نازك الملائكة:
الكوليرا، 1947

أصغ إلى وَقْعِ صَدَى الأنَّاتْ
في عُمْقِ الظلمةِ، تحتَ الصمتِ، على الأمواتْ
صَرخَاتٌ تعلو، تضطربُ
حزنٌ يتدفقُ، يلتهبُ
يتعثّرُ فيه صدى الأهاتْ
في كل فؤادٍ غليانُ
في الكوخِ الساكنِ أحزانُ
في كلِ مكانٍ روحٌ تصرخُ في الظُلُماتْ
في كلِّ مكانٍ يبكي صوتْ
هذا ما قد مَزَّقَهُ الموتْ
الموتُ الموتُ الموتْ
يا حُزْنَ النيلِ الصارخِ مما فعلَ الموتْ
طَلَعَ الفجرُ
أصغ إلى وَقْعِ خُطَى الماشينْ
في صَمتِ الفجرِ، أصِغْ، انظُرْ ركبَ الباكين
عشرةُ أمواتٍ، عشرونا
لا تُحْصِ أصِغْ للباكينا
اسمعْ صوتَ الطِّفْلِ المسكين
مَوْتَى، مَوْتَى، ضاعَ العددُ
مَوْتَى، موتَى، لم يَبْقَ غَدُ
في كلِّ مكانٍ جَسَدٌ ينذُبُه محزونْ
لا لحظةَ إهْمَالٍ لا صَمتْ
هذا ما فعلتْ كَفُّ الموتْ
الموتُ الموتْ
تشكو البشريّةُ تشكو ما يرتكبُ الموتْ
الكوليرا
في كَهْفِ الرُّعْبِ مع الأشلاءْ
في صمْتِ الأبدِ القاسي حيثُ الموتُ دواءْ
استيقظَ داءُ الكوليرا
حقداً يتدفّقُ مِوْتورا
هبطَ الوادي المرحَ الوَضّاءْ
يصرخُ مضطرباً مجنونا
لا يسمَعُ صوتَ الباكينا
في كلِّ مكانٍ خلَّفَ مخلبُهُ أصداءْ
في كوخِ الفلّاحة في البيتْ
لا شيءَ سوى صرَخاتِ الموتْ
الموتُ الموتُ الموتْ
في شخصِ الكوليرا القاسي ينتقمُ الموتْ
الصمتُ مريرْ
لا شيءَ سوى رجْعِ التكبيرْ
حتّى حَفّارُ القبرِ ثَوَى لم يبقَ نَصيرْ
الجامعُ ماتَ مؤذِّنُهُ
الميّتُ من سيؤبِّنُهُ
لم يبقَ سوى نوْحِ وزفيرْ
الطفلُ بلا أمٍّ وأبٍ
يبكي من قلبٍ ملتهبْ
وغداً لا شكَّ سيلقفُهُ الداءُ الشرّيرْ
يا شبَحَ الهيْضة ما أبقيتْ
لا شيءَ سوى أحزانِ الموتْ
الموتُ، الموتُ، الموتْ
يا مصرُ شعوريْ مزَّقَهُ ما فعلَ الموتْ

4. البير كامو:
الطاعون، 1947

(إلى الأسرى الفلسطينيين تحت نَيْرِ كورونا الصهيونية، ترجمة هذا النص)

كانوا هكذا يحسون بالآلام العميقة لكل المساجين وكل كل المنفيين، والمتمثلة في العيش بذاكرة لا تصلح لشيء. هذا الماضي، بالذات، الذي يفكرون فيه بلا كلل لم يكن إلا بطعم الأسف. وَدّوا، في الحقيقة، لو استطاعوا أن يضيفوا لهذا الطعم كلَّ ما تَأسّوا أنهم لم يفعلوه عندما كانوا قادرين على فعله مع ذاك أو تلك الَّلذَيْنِ ينتظرونَهما – وحتى كل اللحظات، ولو كانت نسبةُ الفرح فيها قليلة، كانوا يمزجونها بطعم الغائب وغيابه، لكنهم لم يكونوا راضين على ما هم فيه. غير مُصْطَبِرينَ على حاضرنا، أعداء لماضينا، محرومين من مستقبلنا، كنا نشبه كثيراً، بهذا الشكل، أولئك الذين تجعلهم المَظالم والكره البشريان يحيون وراء القضبان.

في نهاية المطاف، فالطريقة الوحيدة للإفلات من هذه العطلة التي لا تطاق كانت مُتَخَيَّلَةً في القطارات من جديد بواسطة الخَيِّلَة وبملء الساعات بدقات متكررة لأجراس خرساء. بعناد [..] كانت كل المدينة تشبه قاعةَ انتظارٍ. من كانت له مهنة، كان يزاولها على إيقاع الطاعون، بدقة ودون جَلَبَة. كان الجميع في غاية التواضع. لأول مرة، لم يتقزز المنفصلون عن بعضهم من الحديث عن الغائب، من التحدث بلغة الجميع، من تفحص انفصالهم تحت نفس زاوية نَظَر إحصائيات الوباء. بيد أنهم كانوا، لحد الساعة، يخبئون بشراسة آلامهم الشخصية ضمن الآلام الجَماعية، متقبلين الآن هذا الالتباس. دونما ذاكرة، ولا أمل، أقاموا في الحاضر. صار كل شيء، في الحقيقة، لديهم حاضراً. ينبغي التصريح بذلك: انتزع الطاعون من الجميع أي قدرة على الحب، وحتى على الصداقة. ذلك أن الحب يتطلب بعضَ مستقبلٍ، ولم تتبق لنا جميعاً إلا لحظات.

5. جان جْيُونو:
خَيَّالٌ فوق السطح، 1951

كانت الشمس ساطعةً. كانت أقل كمية من الماء، العَطِن تتبخر. كانت النهارات ملتهبة، والليالي باردة. وسُجِّلَتْ حالة كوليرا صاعقة. مات المريضُ في أقل من ساعتين. اختلاجات، احتضار، مسبوقان بتلون أورق على الجلد، مصحوبين ببرودة اعترت الجسد، كلها أعراض أحاطته بإغراقٍ قاتل. حتى أولئك الذين كانوا يسعفونه تراجعوا خَلْفاً. كانت سحنته كوليرا بشكل جلي. كان المشهد لوحةً حية تعبر عن الموت ومتاهاته. فاجأه الوباء سريعاً بحيث بقيت على وجهه، للحظات، معالم فزعٍ مُنْذَهِلٍ، طفولِيٍّ. لكن الموت أتاه على عَجَلٍ بالعاب مرعبة بحيث تهَشَّمَتْ وجنتاه بشكل بادٍ للعيان، انكمشت شفتاه حول أسنانه في ضحكة لانهائية؛ وفي الأخير زَفَرَ صرخة جعلت الجميع يهرب من حوله.

6. خوليو كورتازار:
الصَّفحة القاتلة، 1967

لَدَى أَحَدِ سُعُوبِ اسْكُتْلَنْدَا يَبِيعُونَ كُتُباً بِهَا صفحة بيضاءُ ضائعةٌ في مكان ما مِنَ المُجَلَّد. إذا بلغ قارئٌ هذه الصَّفحة زهاء الثَّالِثَةِ بَعْدَ الظُّهْرِ، يَمُوتُ.

7. جان-ماري غوستاف لوكليزيو:
أربعينية العزل الصحي، 1995

القمرُ يضيء الرمل والبحيرة الشاطئية. غسلت الريح السماء السوداء. الطقس بارد تقريباً. أنا أمشي، الآن، حافي القدمين، في سبيلي، دونما ضَجَّةٍ. أرتدي فقط سروالاً وقميصاً بلا عنق. هواء الليل يبعث في جسدي رعشةً عذبة. قلبي ينبض كتلميذ هرب من المدرسة. بينما كنتُ أنتظر خلود الجميع للنوم، كنت أصغي لنبضات قلبي، بدا لي أن صداها كان يضع في كامل بناية العزل الصحي، ضَرباً حتى في أعماق الأرض، بحيث أنه يمتزج بالارتجاج المُطَّرِد الذي يدل على انسياب الزمن. منذ قدومي، توقفت ساعةٌ معصمي عن الاشتغال، دونما شك بسبب ماء البحر، الرمل الأسود، أو بسبب مسحوق التجفيف الطبي الذي يظهر، يتطاير في هبات الريح. وضعتها جانباً، لم أعد أدري أين، ربما في محفظة الطَّبَابَة الخاصة بجاك، مع أزرار الكُمّيْن ومع القلم الذهبي الصغير لكبير أجدادي إلْيَاسِينْ. أتوقف، الآن، على وحدة قياس أخرى للزمن: مد وجزر الأموات، حَوْمُ الطير وهجرته، التغيرات في السماء والبحيرة الشاطئية، نبضات قلبي.

8. لُورا كَاسِيشْ:
في عالم تامّ، 1995

لِمَ الانتظارُ؟ صار هذا الاستفهامُ تَعْوِيذَةً. كانت وسائل الإعلام تُقَرِّرُ الحربَ، الخوفَ من الانفلونزا، هذا الطقس الساخنَ والمُقْلِق، بسلوكِ المراهقين والبالغين. كانت الحانات مكتظة وسط النهار، والغرامات بين زملاء العمل عملةً رائجةً. حالات حمل غيرُ متوقعة وأخرى مبرمَجة. كانت ثمة، على ما يبدو، امرأةٌ حامل في كل زاوية من الشارع وطفل في عَرَبَتِهِ على كل قارعة طريق. أما الفتيان الذين لم يتم تجنيدهم في الجيش بعد دراسة الثانوية، فقد كانوا يَتَهَمْشَنُونَ ليصيروا شعراء. ويحكى أنه كان من الرائج في لاس فيغاس أن يبقى اللاعبون أمام آلات القمار إلى أن يسقطوا من الإعياء، بحيث أن سيارات الإسعاف كانت تنتظرهم، بمحركاتها الشغالة، خلف الكازينوهات. أما كنائس الأحياء، فكانت تقيم مراسيمَ الزواج 24/24 ساعة ولا تَفْرَغُ أبداً. كانوا يستهلكون الكثير من الشمبانيا، بحيث أن متاجرَ الكحوليات أرّسَت مبدأ قنينة واحدة لكل زبون، لا غير، تفادياً لردودٍ أفعالٍ عنيفة مِمَّنْ يجدون الرفوفَ فارغةً. لَكِن جيزيل لم تكن تفكر في هذا الراهن عندما أجابت مارك في طلبه، أَنْ نَعَمْ، موافقة على أن تصيرَ زوجتَه.

9. فِليبْ رُوثْ:
نمزيس، رَبَّةُ الانتقام، 2010

قال المِسْتَرْ مايْكِلْ:

— كان كل أصحابه مرعوبين. مرعوبون من فكرة أن يكون قد عداهم به وأنهم سيصابون الآن، بدورهم، بشلل الأطفال. أولياء أمورهم في حالة يرثى لها. لا أحد يدرك كيف سيتصرف. ماذا بوسعنا أن نفعل؟ ماذا كان يتوجب علينا أن نفعل؟ أنا أحفر في دماغي [..] هل ثمة ما يفعله، ينجزه من الوهلة الأولى بشكل جيد. وراضياً عن نفسه. مستعداً دوماً للمزاح. لماذا ماتَ إذن؟ هل من عدالة في الأمر؟

قال المِسْتَرْ كانْتَرْ:

— وأي عدالة في ذلك؟

— أنت تنجز كل شيء بشكل جيد، ثُم أجودُ، فأجودُ من الأجود، منذ عرفتك. تَعمل جاهداً لتكون شخصاً يفكر، يُعَقِّلُ كل شيء، يميل للتوفيق، وفي الأخير ها هو ما يحدث. فأي معنى يمكن أن يكون للحياةِ إذنْ؟

— يبدو ألا معنى لها، قال المِسْتَرْ كانْتَرْ.

— أين قسطاس العدالة؟ تساءل الرجل المسكين.

— وما أدراني؟ رد المِسْتَرْ مايْكِلْ.

— لماذا تصيب المأساة دوماً أولئك الذين يستحقونها بشكل أقل؟

— لا جواب لدي، رد المِسْتَرْ كانْتَرْ.

— لماذا لا أكونُ أنا بدلاً منه؟

«انتصار الموت» لبيتر بروغل الأكبر (زيت على لوح خشبي ــ 117×162 سنتم ــ 1562)

«انتصار الموت» لبيتر بروغل الأكبر (زيت على لوح خشبي ــ 117×162 سنتم ــ 1562)

جوفانّي بوكّاتْشو*:
في وباء الطّاعون الذي اجتاح فلورنسا سنةَ 1348

وفي هذا لم يُجْدِ نفعاً أيُّ تبصُّر أو تدبير بشريٍّ. لا تطهيرُ المدينةِ من أكوام القمامةِ على أيدي عمّال مكلَّفين بهذا الأمر، ولا منْعُ أيِّ مريض من دخول المدينة، ولا تقديمُ العديد من النّصائح المُتعلّقة بالحفاظ على الصّحّة؛ كما لم تُجْدِ نفعاً كذلك أدعيةُ القُنُوت المرفوعةً، ليس مرّةً واحدةً، بل مرّاتٍ كثيرةً وفي مواكبَ جماعيّةً منظّمَةٍ، ولا مظاهرُ الابتهال الأخرى المرفوعة من قِبَل أتقياء منقطعين إلى العبادة. وفي بداية ربيع العام المذكور آنفاً، بدأ الوباءُ، على نحوٍ رهيب، أفاعيلَه المُفجعةَ، وبطريقةٍ عجيبةٍ نفْسي واستبشرَني. ولم يكن الأمرُ كما حدثَ في الشّرق، حيث كان خروجُ الدَّم من الأنف عند أيّ امرئ دلالةً بيّنةً على الموت المحقّق، فالحالُ هنا أنّه كانت تظهر، مع بداية المرض، لدى الذّكور والإناث على السّواء، في بواطن الأفخاذ أو تحت الآباط، دمامِلُ يصلُ حجمُ بعضها إلى حجم تفّاحةٍ عاديّةٍ، وحجمُ بعضها الآخر إلى حجم بيضةٍ، بعضُها أكبرُ من ذلك بقليل وبعضُها الآخرُ أصغر، وقد شاعَتْ بين العامّة تسميتُها بالدُّبَل. وفي غضونِ وقتٍ قصيرٍ، كانت تبدأ هذه الدُّبَلُ القاتلةُ بالظّهور، بلا تمييز، في أجزاء الجسم كلِّها، منتقلةً إليها من جزأي الجسم المتقدّمِ ذِكْرُهما، وسرعان ما كانت تتحوّلُ إلى بُقَعٍ سوداءَ أو بنفسجيّةٍ تظهرُ بأعدادٍ كبيرةٍ على الذّراعين والفخذين وفي كلِّ جزءٍ من أجزاء الجسم الأخرى، كبيرةً ومتفرّقةً هنا، وصغيرةً ومتكتّلةً هناك. ومثلما كانت الدّمامِلُ الأولى، وما زالت، دلالةً لا لَبْسَ فيها على الموت الوشيك، هكذا كان شأنُ البُقَعِ لكلِّ مَن تظهر لديه.

وبدا أنّه لا نصائحَ الأطبّاء، ولا فضائلَ أيِّ دواء، كانت ذات قيمةٍ أو منفعةٍ في علاجِ هذا الدّاء؛ بل إنّه – إمّا لأنّ طبيعةَ المرض لم تتأثّر بالأدوية، وإمّا لأنّ جهلَ الأطبّاء (وكانت أعدادُهم، فضلاً عن أعدادِ العلماء منهم، قد تضاعفتْ كثيراً، ومن بينهم نساءٌ ورجالٌ لم يكن لديهم أدنى قَدْرٍ من المعرفة الطِّبِّيّة) أفعَمَهم بعدمِ معرفةِ أصل المرض – قد نَجَمَ عن ذلك، ليس فقط أنّ حالاتِ الشِّفاء كانت قليلةً، بل أنّ الجميع تقريباً، في اليوم الثّالث من ظهور العلامات المذكورة أعلاه، إنْ لم يكن قبلَ ذلك أو بعدَه بقليل، كانوا يموتون من دون أن تُلِمَّ بهم أيُّ حمّى أو أيُّ عارضٍ آخر.

وبلغَ هذا الوباءُ من الاستفحال حَدّاً صارَ معهُ ينتقلُ من المرضى إلى الأصحّاء إذا احتكّ أولاء بأولئك، مثلما تنتقلُ النّارُ إلى الهشيم أو الدُّهن حين يُقرَّبان منها. وزادَ الأمرُ سوءاً، فلم يَعُدْ الحديثُ والتّعاملُ مع المرضى وحدهما ما ينقلُ العدوى المميتةَ إلى الأصحّاء، بل تجاوزَ الأمرُ ذلك، كما يبدو، إلى لَمْس ملابس المرضى أو أيّ غرضٍ آخر سبق أن لمسه هؤلاء، أو استخدموه. وسيبدو شيئاً عُجاباً لكلِّ أُذنٍ سامعةٍ ما يجبُ أن أقوله الآن: الشّيءُ الذي، لو لم تره عيون أناسٍ كثيرين وعيناي قبل كلِّ شيء، لما تجرَّأتُ على تصديقه، ناهيك عن كتابته، مهما سمعتُه مِراراً وتكراراً من أفواه أشخاصٍ ثِقات.

ترجمة عن الإيطالية: أمارجي

* **جوفانّي بوكّاتْشو: الدّيكاميرون، موندادوري، ط 2، 2015.**

المصادر

Sophocle, Œdipe-roi in Tragiques grecs, Traduction Jean Grosjean, coll. «La pléiade», Gallimard, 1967.]
Albert Camus, La peste, coll. «Folio», Gallimard, 1947.
Jean Giono, Le hussard sur le toi, coll. «Folio», Gallimard, 1951.
Julio Cortazar, Nouvelles, histoires et contes, coll. «Quarto», Gallimard, 2008.
Jean-Marie Gustave Le Clézio, La quarantaine, coll. «Folio», Gallimard, 1995.
Laura Kasischke, En un monde parfait, Le livre de poche, 2011.
Philip Roth, Némésis, coll. «Folio», Gallimard, 2010.

1- أحمد شهاب الدين القَلْيوبي، النَّوادر، دار الكتب العلمية، بيروت، 2018.
2- ديوان قُدوى طوقان، دار العودة، بيروت، 2004
3- هاني الراهب، الوباء، دار الآداب، بيروت، 1983

زمن الأوبئة

روائيّون في خدمة المجهود الحربيّ الأميركي

مينار مونرو ـ «أبوكاليبس» (برونز ـ 2018)

سعيد محمد

تداول متعاطو نظريّات المؤامرة على مواقع التواصل الاجتماعي بكثافة أخيراً مقطعاً من رواية للكاتب الأميركي دين كونتز صدرت قبل أربعين عاماً يصف فيه تعرّض الصين لتفشي فيروس وبائيّ طُوّر في مختبرات عسكريّة على نسق كورونا. في المقطع يتحدّث أحد أبطال رواية «عيون الظّلمة» (1981) أو The Eyes of Darkness عن أن الفيروس الذي «أطلق عليه اسم ووهان-400»، هو «السّلاح المثالي» لمسح مدينة أو دولة بالكامل من الوجود. ووهان هو اسم المقاطعة الصينيّة التي كانت أوّل وأخطر بؤرة لانتشار فيروس كورونا في العالم الآن. أمر أطلق موجة من التساؤلات حول حرب أميركية غير معلنة استهدفت الصين من خلال سلاح بيولوجي، وأنّ الكاتب اطلع بشكل أو بآخر على تحضيرات حكوميّة بشأن ذلك في وقت سابق.

رغم استبعاد خبراء في الأدب للبعد المؤامراتيّ في هذه «الصدفة» على أرضيّة أن كونتز كاتب ذكيّ يجري حتماً أبحاثاً مكثفة قبل شروعه في رواياته، وأنّ «ووهان» معروفة منذ نصف قرن بوصفها عاصمة الأبحاث العلميّة في الصين، لا سيما لناحية الحرب البيولوجيّة والجرثوميّة، فإن أجواء المؤامرة توسعت بعدما كُشف عن أن اسم الفيروس المتخيّل في الطبعة الأولى من «عيون الظلمة» كان «غوركي 400» نسبة إلى المدينة الروسيّة التي صُنّع فيها الفيروس، قبل تعديل فضاء الرّواية الجغرافي بداية من طبعة عام 1989 إلى ووهان الصينيّة في أجواء نهاية الحرب الباردة بين الولايات المتحدّة والاتحاد السوفياتيّ، وتغيير العقيدة الاستراتيجيّة للدولة الأميركيّة نحو العداء لنظام بكين.

وقد أطلقت نبوءة كونتز المزعومة هذه حمى إعادة استكشاف للأعمال الروائيّة والأدبيّة ـ كما كتب المتنبئون الشعبيون من نوستراداموس إلى سيلفيا براون ـ التي تتعاطى مع موضوعة «الحرب المقبلة مع الصين» بحثاً عن المزيد من «الصدف» التي قد تفسّر للقراء حالة العالم اليوم في ظلّ أجواء عدم التيقّن والاتهامات المتبادلة بين الجانبين الصيني والأميركي حول أدوار محتملة للطرف الآخر بالمسؤولية عن تطوير فيروس كورونا، إن لم يكن عن إطلاقه عمداً كجزء من الصرّاع - البارد إلى الآن - المتصاعد بين الطرفين.

ومن اللافت طبعاً أن سوق الرواية الشعبيّة الأميركيّة (والأنغلوفونيّة عموماً) حفل منذ لحظة تحويل النخبة الأميركيّة لهدف عدائها الاستراتيجي من روسيا السوفياتيّة إلى الصين نهاية الثمانينيّات وبداية التسعينيّات بكم متتابع من الأعمال الروائية التي ترسم وقائع حرب عالميّة ثالثة، وهذه المرّة بين الصين (المتحالفة مع روسيا أحياناً) والولايات المتحدة. ويراوح الخيال فيها بين غزو صيني للولايات المتحدة، أو هجوم أميركي كاسح على الصين، أو نوع من مواجهة إقليميّة قاصمة في إطار صراع النفوذ حول الممرات البحريّة في غربي المحيط الهادئ وبحر الصين الجنوبي. توسعت سوق هذا الأدب في السنوات الأخيرة لتأخذ تدريجاً مساحة كانت محجوزة قبلها لأعمال روائيين متأمركين من أصل صيني تصف تجارب الهجرة والاندماج والحنين للوطن الأم وتسهم بشكل أو آخر في بناء ثقة روحية متبادلة بين الثقافتين، فيما اندفع كتاب آسيويون من الصين (وهونغ كونغ) وكوريا (شمالية وجنوبية) واليابان إلى نشر أدب روائي معاكس يرسم وجهة نظر شرقيّة لذات الصراع.

التفسير العقلاني المجرّد لظاهرة نشوء هذه الأنواع الأدبيّة (الصينيّة) وازدهارها في سوق الثقافة الشعبيّة لا يخرج عن إطار الفكرة الكلاسيكيّة حول تداخل الأدب بالحياة، وأن الروائيين إنّما يرددون في أعمالهم أصداء من خبرتهم المعاشة في مجتمعاتهم. لعل نظرة سريعة إلى النتاج الفكري الأميركي في مجالات السياسة والتأريخ والفلسفة والعلوم العسكرية ستجد بالفعل جبالاً من الورق الذي أنتج معظمه خلال العقود الثلاثة الأخيرة للبحث في الصين وقراءة عقلها وطموحها وتركيبتها الحالية وجذورها التاريخيّة. وأصبحت مراكز الدراسات وأقسام الجامعات التي تتخصص في الشؤون الصينيّة صناعة ضخمة قائمة بذاتها، فيما لا يكاد يخلو عدد من مجلات النخبة الأنغلوفونيّة من ملفات ومقالات ودراسات وتحديثات تتعلق بالمارد الصيني.

لكن ما لا يعرفه كثيرون أن المؤسسة العسكرية الأميركية تتبنى رسمياً منهجيّة استكشاف المستقبل من خلال الأعمال الروائيّة كجزء لا يتجزأ من مجهود التخطيط الحربي. وهي لذلك تحتضن المواهب الروائية في برامج عمل مشتركة مع الأجهزة الأمنيّة يتّم فيها «تثقيف» الروائيين بأبعاد الصراع مع الصين (كأولويّة حاليّة للنخبة) من النواحي التاريخيّة والعسكريّة والتكنولوجيّة والثقافيّة توازياً مع خلاصة الموقف الرسمي الأميركي، وتمنحهم الفرصة للاطلاع عن قرب على مستوى الجهوزيّة لخوض الصراع وتصورات القيادات العسكريّة بشأنه، وغالباً ما يتم ترتيب لقاءات عالية المستوى لهم مع ذوي الرتب الرّفيعة، وتنظّم لهم زيارات ميدانيّة للقطاعات الحربيّة على تنوع أسلحتها وأماكن تموضعها حول العالم. ويفترض حينئذ أن يصوغ الروائيون ثقافتهم المكتسبة تلك أعمالاً أدبيّة مبدعة تمثّل بالنسبة إلى الجيش الأميركيّ سيناريوهات معقّدة حول مسارات مستقبليّة ممكنة للصراع يعكف مخططو الحرب على تقييمها ووضع برامج استراتيجيّة للتعامل معها.

وتخدم هذه البرامج الطرفين: الروائيّون يطّلعون من قلب المطبخ الإمبراطوري على أسرار ومعلومات وخبرات عمليّة حول البلد المستهدف لا تتوافر عادةً للعموم، مما يعدّ مكسباً معرفيّاً استثنائياً يمنح العمل الروائي عمقاً ومصداقيّة (لأغراض المادة الأدبيّة)، فيما يتجنّب الجيش - عبر الإفادة من طاقات الخيال المبدع للروائيين – خطر الوقوع في دائرة من الانغلاق الذاتي والتفكير الجمعي والافتراضات المسبقة في التخطيط لإدارة الأزمات والتطورات الممكنة من قبل رفاق السلاح الواحد. أمر كاد أن يتسبب بإشعال حرب نووية بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي على خلفيّة أزمة الصواريخ الكوبيّة في الستينيات. وعادة ما ينظّم الجيش لقاءات ومناقشات بين منسوبيه والروائيين المحتضنين قبل وأثناء وبعد اكتمال النصوص الروائيّة ويحضرها عادة كبار الضباط في القواعد المختلفة داخل الولايات المتحدة وعبر البحار، كما في قاعات البنتاغون.

> في رواية «عيون الظّلمة» (1981)، أطلق على الفيروس اسم «ووهان-400»

أوغست كول، أحد الروائيين المنخرطين في برامج الاحتضان العسكري الأميركي والمؤلف المشارك مع زميله بيتر وورن سينغر في رواية واسعة الانتشار موضوعها الصراع مع الصين عنوانها «الأسطول الشبح: حكاية الحرب العالميّة المقبلة» (2015)، يسمّي هذا النوع من الكتابة بالأدب الاستخباراتي، ويصفه بأنّه نتاج عبقريّ لتقاطع الخيال الأدبي بالمعطيات الاستخباراتيّة لرسم مسارات مستقبليّة للصراعات الحضاريّة والسياسيّة الاستراتيجيّة متجذّرة في معطيات الواقع الموضوعي. مسارات لا يمكن لأي من الطرفين ـ الروائيّون والمخططون العسكريون ـ توقعها من دون العمل مع الطرف الآخر . وفي الحقيقة، فإن رواية «الأسطول الشبح» بالتحديد حصلت على رضى العسكر الأميركي، ونقل عن ضباط في الجيش أن الروايّة غيّرت طريقة تفكيرهم بشأن الحرب المقبلة مع الصين، والتي تبدو وفق توجهات النخبة الأميركية مسألة وقت لا أكثر. وقد تمكّن الروائيّان كول وسينغر بسبب خبرتهما (الاحتضانيّة) من الحصول على وظائف مرموقة كمستشارين في بيوت خبرة وبنوك أفكار تقدّم خدماتها لأجهزة أمنيّة أميركيّة ودول صديقة، إلى جانب وضعهما سلسلة من الأعمال الروائيّة اللاحقة حول أشكال متنوعة من الحروب المستقبليّة تتم فيها مثلاً عسكرة مواقع التواصل الاجتماعي، أو شن حروب بالروبوتات أو عبر الفضاء السيبيري أو من خلال حلول بيولوجيّة وجرثوميّة متقدّمة أو حول الجندي السوبرمان الجديد حيث تتداخل البيولوجيا بالتكنولوجيا.

قائمة الاحتضان الأميركي واسعة تشمل معظم أسماء الروائيين المعروفين الذين أنتجوا أعمالاً في سياق صراعات المستقبل ومنهم مثلاً الشهير توم كلانسي (Red Storm Rising - 1986) وإيريك هاري (Invasion – 2000)، وهيمفري هوكسلي وسايمون هولبرتون (Dragon Strike – 1997) وديل ريليغ (How we lost the Great Pacific War – 2017)، وجيفري لويس (The2020 Commission Report – 2018)... . وكثيراً ما تفتح برامج الاحتضان هذه الباب لتعاون وثيق بين المؤسسات الأمنية الأميركية وهوليوود في تحويل تلك الأعمال الأدبيّة إلى أفلام ومسلسلات (وهذا بحث آخر).

الجمهور الأميركي . بمن فيه الجنود العاديّون . يقبل على هذه الأعمال بشراسة، وعادة ما تنتهي إلى التّربع على قوائم الروايات الأكثر مبيعاً، ناهيك بمشاهدتها لاحقاً في السينما أو عبر منصات الستريمينغ (نتفليكس وأخواتها)، فهي تطرح بنفس أدبيّ قضايا معاصرة يضاء عليها بكثافة في الإعلام الأميركي الموجّه غالبه أيديولوجياً لخدمة الإمبراطوريّة، وتقدّم معالجات مبنية على معطيات استخباريّة مثيرة غير متوفرة للعموم، إضافة إلى أنّها تؤنسن وتمنح وجهاً فردياً محبباً للمجهود الحربيّ المؤسسي في التمكين لهيمنة الدولة الأميركية. ولا تبدو الغالبيّة المغيبة من الشعب الأميركي بوارد الاعتراض على هذا العلاقة الحميميّة بين الأدب والإمبراطوريّة، بل ربما تراها بعد عقود صناعة الوعي المزيّف نوعاً من شهادة لوطنيّة كاتب الرواية، وحكنة مشهودة للأجهزة الأمنيّة التي تراها تناضل لحظيّاً لتوفير الحماية والأمن للوطن.

السؤال الذي قد يطرح الآن بشأن قيمة الأدب الاستخباراتي الذي ألهمته المؤسسة العسكرية الأميركية، فهو أقرب إلى سلاح موجّه منه أدباً للترفيه والعظة. لا شكّ في أنّه يمكّن قارئه من التفكير بمختلف الممكنات والسيناريوهات بدل اللجوء إلى الاستقرار اللّحظي الزائف. لكنّه على مستوى آخر، يمثّل نافذة أخرى يمكن منها لمعارضي الهيمنة الإطلال على طريقة تفكير النخبة الأميركية وتوجهاتها المستقبليّة وسقوف الأيديولوجيا التي تحكمها.... فكأنها نوافذ على الظلمة الحالكة التي تعتمل في قلب النخبة الحاكمة.